الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت -

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

موسومة بـ:

النصارى في المغرب الإسلامي على عهدي المرابطين والموحين 427_668ه/1055_1269م

من إعداد الطالبتين :

- دهلوز بشرى إكرام
- دليمي حنان

تحت إشراف الأستاذ (ة):

أ. شرقي نوارة

لجنة المناقشة:

طيب بوجمعة نعيمة	أستاذ محاضرا	رئيسا
شرقي نوارة	أستاذ مساعدا	مشرفا
بورملة عربية	أستاذ مساعدا	مناقشا

السنة الجامعية: 1444_1445ه/2023_2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والعرفان:

" بسم الله الرحمان الرحيم"

" وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ "

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات وبعونه تم انجاز هذا العمل.

بهذه المناسبة لا يسعنا إلا أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا في انجاز هذه المذكرة ونخص بالذكر الأستاذة المشرفة شرقي نوارة الذي خصتنا بنصائح وتوجيهات طوال مرحلة العمل.

كما نتقدم بشكرنا الخالص إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد.

الإهداء:

" وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين".

الحمد لله عند البدء وعند الختام فما تناهى درب ولا ختم جهد ولا تم سعي إلا بفضله.

أما عن فرحة التخرج فلا اقتباس يصفها ولا كلام يعبر عن شعورها أهدي وبكل حب بحث تخرجي:

إلى بحر الحب والحنان من كان دعائها سر نجاحي أمي.

إلى الذي أوصاني الله به برا وإحسانا ودعمني بلا حدود أبي.

إلى نجوم سمائي المتلألئة وسندي في الحياة إخوتي.

إلى جميع أساتذتي الكبار وعلى رأسهم الأستاذة شرقي نوارة التي دعمتني بإشرافها وتوجيهاتها لنيل هذه الثمرة.

وإلى الذين غمروني بالحب وأمدوني بالقوة وكانوا موضع الاتكاء في كل عثرة الذين رزقني الله بهم لأعرف من خلالهم طعم الحياة زملائي وبالأخص إلى التي قاسمتني هذا العمل.

وإلى كل قلب خفق لي حبا وخوفا علي أهدي ثمرة جهدي المتواضع.

الطالبة: دليمي حنان.

الإهداء:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين وعلى آله وصحابته الأخيار الطاهرين.

أهدي هذا العمل :

إلى من رضا الرب برضاهما أمي وأبي, إلى من غمرتني بحبها ورعايتها وعطفها وزرعت في نفسي بذرة الأمل وأقنعتني أن الحياة جهاد ومثابرة وطموح إلى صاحبة الفضل في كل عمل أنجزته إلى من هي في الحياة حياة إليك ينحني الحرف حبا وامتنان إليك أمي... وعليك السلام.

إلى والدي الذي رافقني, طيلة حياتي... فلم يبخل علي بشيء وزودني بكل أسباب النجاح والتوفيق.

إلى إخوتي وأخواتي كل باسمه ووسمه ومقامه.

إلى صديقتي التي سارت معي في درب العلم وشاركتني في هذا العمل المتواضع.

إلى أستاذتي ومرشدتي التي لولاها لما أنجز هذا العمل الأستاذة شرقي نوارة.

إلى زملائي وزميلاتي وأساتذتي الأفاضل أهدي هذا العمل المتواضع سائلا الله التوفيق والسداد.

(وما توفيقي إلا بالله, وإليه أنيب).

الطالبة: دهلوز بشرى إكرام.

قائمة المختصرات:

المختصر	دلالته
ص	صفحة
ص ص	صفحتين متتاليتين
ه	هجري
م	ميلادي
ج	جزء
ق	قرن
ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
P	Page
Op.cit	Opere.citata

مقدمة

إن المتصفح لتاريخ المغرب الإسلامي والمتطلع على مصادره يلاحظ وجود بعض الكتابات عن تاريخ الأقليات. كما عرف المغرب الإسلامي كغيره من الأمصار الإسلامية قيام العديد من الدول, لذلك يعتبر موضوع النصارى في بلاد المغرب الإسلامي الذين شكلوا أدوارا متنوعة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمنطقة, خاصة فترتا حكم المرابطين والموحدين من أهم الفترات التاريخية التي شهدت تفاعل المسلمين والنصارى في إطار من التعقيدات والتحولات السياسية والدينية.

لقد شهد عهد المرابطين توطيد قوة الدولة الإسلامية في المغرب والأندلس, مما أتاح فرصا للتفاعل بين المسلمين والنصارى في ظل الحملات العسكرية والتبادل التجاري والثقافي, أما عهد الموحدين فكان له طابع مختلف, حيث تميز بمزيد من التشدد الديني والسياسي, مما انعكس على وضع النصارى وأدوارهم في المجتمع.

يهدف الموضوع نصارى المغرب الإسلامي على عهدي المرابطين والموحدين إلى دراسة أوضاعهم وأحوالهم بالإضافة إلى دورهم في كنف الدولة الإسلامية .

تكمن أهمية موضوع نصارى المغرب الإسلامي على عهدي المرابطين والموحدين كونه موضوع يدرس حضوى النصارى خلال عهدي المرابطين والموحدين ويكتسب أيضا أهمية من خلال الفهم التاريخي العميق بحيث يتوسع فهمنا للتاريخ الاجتماعي والثقافي والسياسي للمغرب الإسلامي في العصر الوسيط. ويساعد في الكشف عن كيفية تأثير العلاقات بين المسلمين والنصارى على تشكيل المجتمع وتطوره, ويبرز جوانب التفاعل بين الأديان والثقافات المختلفة في فترة حيوية من تاريخ المنطقة, بحيث يعكس هذا التفاعل أوجه التعايش والاندماج.

ومن دواعي اختيارنا لموضوع نصارى المغرب الإسلامي على عهدي المرابطين والموحدين فبحكم التخصص اخترنا المغرب الإسلامي أما الفترة (عهد المرابطين والموحدين) لأن ازدياد عدد النصارى في البلاد وبالتالي ازداد نفوذهم وبهذا كان هناك تأثير مزدوج فبقدر ما كانت لهم إسهامات لكن في المقابل أثروا بالسلب على الدولة الإسلامية سواء الدولة المرابطية وحتى الموحدية.

إلى أي مدى أثر وتأثر النصارى في الدولتين المرابطية والموحدية؟

مما أدى إلى إثارة العديد من التساؤلات والمشكلات البحثية:

- ما هي حقيقة وجود النصارى في بلاد المغرب الإسلامي؟ وما هي العلاقات التي ربطت النصارى بالسلطة الإسلامية في عهدي المرابطين والموحدين؟ وإلى أي مدى تتمتع النصارى بالتسامح الديني داخل المجتمع المرابطي والموحدي؟
- هل كان للنصارى إسهامات في كنف الدولتين؟
- ما هي الظروف والعوامل التي أثرت على وضع النصارى في بلاد المغرب الإسلامي في ذلك العصر؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اتبعنا خطة بحث كانت كالتالي:

فصل تمهيدي وثلاثة فصول بحيث كل فصل يحتوي على مباحث وخاتمة.

تطرقنا في الفصل التمهيدي إلى نبذة تاريخية عن الدولتين المرابطية والموحدية مستظهرين بذلك مراحل قيامهم من مرحلة القوة والإزدهار إلى غاية مرحلة الضعف والسقوط. أما الفصل الأول عنوناه ب: نصارى المغرب الإسلامي قبل القرن 5ه أي 11م. فكان مبحثه الأول: تعريف أهل الذمة والنصارى لغة واصطلاحا, أما مبحثه الثاني تحدثنا فيه عن النصارى قبيل ظهور المرابطين والموحدين أي مرحلة الفتح وموقف النصارى منه مع الفاتحين كموسى بن نصير وعقبة بن نافع وعمرو بن العاص وغيرهم من الفاتحين وحتى مرحلة قيام الدويلات المستقلة: كالدولة الرستمية والدولة الأغلبية وحتى الدولة الإدريسية ثم الفاطمية والحمادية تحدثنا كيف تعامل المسلمون مع النصارى في هذه الدولة. أما الفصل الثاني الذي كان تحت عنوان النصارى في العهد المرابطي بحيث كان مبحثه الأول: سياسيا عسكريا, وضحنا فيه كيف ساهم النصارى في المجال السياسي والعسكري للدولة المرابطية, أما مبحثه الثاني جاء تحت عنوان: اقتصاديا وضحنا نمط عيش النصارى في المجال الإقتصادي في كنف المرابطين من حيث الزراعة والتجارة البرية والبحرية أما المبحث الثالث والأخير: دينيا اجتماعيا وضحنا فيه كيف تعامل المسلمين مع النصارى وشاركوهم في بعض مناسباتهم واحتفالاتهم وعدم منعهم من ممارسة شرائعهم. وبالنسبة للفصل الثالث كان عنوانه: النصارى في العهد الموحدي فدرسنا أحوالهم من المجالات مبحثه الأول: سياسيا عسكريا, والمبحث الثاني اقتصاديا أما المبحث الثالث: دينيا واجتماعيا. وفي الأخير توصلنا إلى حوصلة عامة حول هذا الموضوع والتي تحدثنا عنها في الخاتمة.

اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج التاريخي بمساعدة المنهج التحليلي للمعطيات التاريخية وأيضا قمنا بمقارنة النصوص التاريخية التي أوردت بعض القضايا الخاصة بالنصارى.

استفدنا من بعض الدراسات السابقة المشابهة لموضوعنا رغم أقليتها فنجد: مذكرة شريف عبد القادر, النصارى ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية دولة الموحدين 21_641ه/668_1269م, مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تخصص التاريخ الوسيط, 2011_2012م.

ففي هذه المذكرة تطرق صاحبها إلى موضوع النصارى بشكل عام أي من الفتح إلى غاية سقوط دولة الموحدين فلم يتقيد بفترة معينة عكس مذكرتنا التي التزمنا فيها بفترتي المرابطين والموحدين فقط كانت دراسة متخصصة.

كما استفدنا من مقال صديقي عبد الجبار عنوانه: الطائفة المسيحية في المغرب الإسلامي تحت الحكم المرابطي ففي هذا المقال تخصص صاحبه للنصارى في الدولة المرابطية فقط ولم يتحدث عن النصارى في الدولة الموحدية وأبرز أهم أدوارهم في المجتمع الإسلامي من كل المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية الدينية وحتى الاجتماعية بينما مذكرتنا تحدثنا فيها عن النصارى في العهد المرابطي ويليه العهد الموحدي.

وأيضا مقال لبنى الورطيطي المعنون ب: أهل الذمة بين التنظير والواقع في العهد الموحدي استفدنا منه لكن المقال كان محتواه أهل الذمة بصفة عامة بما فيه اليهود والنصارى في العهد الموحدي فقط وكيف عاش أهل الذمة داخل الدولة الموحدية من حيث معاملة الحكام لهم وتوفير الاحتياجات الخاصة بهم وأماكن استقرارهم بينما مذكرتنا تخصصت للنصارى فقط في العهدين المرابطي والموحدي.

كما أن دراسة هذا الموضوع يتطلب من الباحث الرجوع إلى المصادر التاريخية والجغرافية والفقهية لأن المعلومات عن هذا الموضوع مبعثرة بين ثناياها. ومن أهم التي استخدمناها في الدراسة نجد:

كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس لابن أبي زرع الفاسي المؤرخ المغربي, الذي يحتوي على أربعة أقسام بحيث كل قسم خاص بدولة, فستفدنا منه في القسمين الخاصين بالدولة المرابطية والموحدية فهو مصدر قيم لتاريخ المغرب في العصور الوسطى المتوفي سنة 741ه/1340م .

كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي الذي عاش بين النصف الثاني من القرن السابع الهجري وأوائل القرن الثامن الهجري توفي بعد سنة 712ه

يعد كتابه من أهم المصادر المغربية التي أمدتنا بمعلومات وفيرة عن الوجود النصراني في المغرب في العهد المرابطي وحتى الموحدي خاصة الجزء الخاص بالموحدين.

وكتاب الإستبصا لعجائب الأمصار لمؤلف مجهول من القرن 6ه/12م الذي عاصر دولة الموحدين نشأ في مراكش تطرق في كتابه هذا إلى إشارات هامة عن بعض المدن التي استقر بها النصارى.

كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والمغرب للونشريسي المتوفي عام 914ه خاصة الجزء السادس تضمن عدة فتاوى عن النصارى وأوضاعهم الاجتماعية.

كما حاولنا الاستفادة من مراجع منها:

مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين للمؤلف إبراهيم القادري بوتشيش الذي تحدث عن النصارى وأدوارهم المختلفة في كنف الدولة المرابطية.

كما اعتمدنا على كتاب دولة الإسلام في الأندلس أفادنا في جمع المعلومات عن الجند النصارى في عهد المأمون الموحدي وكتاب دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي لصاحبه علي محمد صلابي.

واجهتنا بعض الصعوبات في موضوعنا هذا: تشتت المادة العلمية في المصادر_ عدم تمكننا من اللغات الأجنبية جيدا_ عدم تخصص الموضوع بمجال واحد كان شامل الاقتصادي والاجتماعي الثقافي والسياسي الديني.

الفصل التمهيدي

الفصل التمهيدي: نبذة عن الدولتين

1_ الدولة المرابطية

2_ الدولة الموحدية

1_الدولة المرابطية :

الدعوة و التأسيس:

كان أول ظهور للمرابطين, بعد إلتحام عدد من أهم قبائل صنهاجة[1] الكبيرة الجنوبية, بزعامة أمير لمتوني يدعى يتلوتان بن تلاكاكين[2] الذي ملك بلاد الصحراء ودان له بها أزيد من عشرين مملكة من ممالك السودان تؤدى له الجزية إلى أن توفى سنة 222ه/836م وبسبب خلافات داخلية تفرقت هته القبائل الصنهاجية[3], فأعيد تشكيلها بزعامة محمد بن تيفات اللمطي[4] بين قبائل لمتونة مسوفة جدالة بهدف استرجاع القبائل الصنهاجية دور الوساطة التجارية, لكن الزعيم الجديد لقي حتفه في إحدى المعارك مع مملكة غانة, فولي الأمر بعده لصهره يحي بن إبراهيم الجدالي[5] وقد اشتهرت هذه القبائل باسم الملثمين وأصبح اللثام شعارا عرفوا به[6].

[1] صنهاجة: هي فخذ من هوارة وهوارة فخذ من حمير يمانيون من ولد الصوار بن وائل من حمير, و تنقسم صنهاجة إلى سبعين قبيلة منهم لمتونة ,مسوفة ,جدالة ,مداسة ,لمطة ,بنوموسى, بني زياد وفي كل قبيلة بطون وأفخاذ كل هذه القبائل صحراوية. ينظر: بن أبي زرع الفاسي, الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس, ج1, ط1, دار المنصورة للطباعة والوراقة, الرباط, 1972م, ص ص 119_120..

[2] يتلوتان بن تلاكاكين: الصنهاجي اللمتوني, أول ملوك صنهاجة ملك الصحراء كلها ودانت لهم ملوك السودان الغربي, كان في أيام عبد الرحمان الداخل. عاش نحو ثمانين سنة, توفي سنة 222ه. ينظر: ابن أبي زرع الفاسي, المصدر نفسه, ص120.

[3] إبراهيم القادري بوتشيش, المغرب والأندلس في عصر المرابطين : المجتمع _الذهنيات_الأولياء,ط1, دار الطليعة للطباعة والنشر ,بيروت, 1993 ,ص8.

[4] محمد بن تيفات اللمطي: المعروف بتارشتا اللمتوني, بعد افتراق شيوخ صنهاجة لمدة 120 سنة, اتفقوا بعدها على تارشتا هذا ملكا عليهم, فقام لمدة ثلاث سنوات, قتل بعدها في حرب مع السودان, فتولى بعده يحي بن ابراهيم الجدالي. ينظر: ابن ابي زرع الفاسي, المصدر السابق, ص121.

[5] شيخ عدة, الدعوة الدينية المرابطية: أسسها وخصوصياتها وأثرها في قيام الدولة 447ه_542ه/1055م_1148م, مجلة الإحياء ,العدد 27_2020/11, ص562.

[6] فقد أصبح اللثام شعارا لعدة أسباب منها: أن أجدادهم من حمير كانوا يتلثمون لشدة البرد والحر فكثر حتى صار يفعله عامته, ويذهب رأي اخر أن طائفة منهم أغارت على عدو لهم فخالفهم العدو إلى مواطنهم وهي خاوية إلا من النساء والأطفال والشيوخ, فأمر الشيوخ النساء بأن يتلثمن حتى لا يعرفن ففر الأعداء وهكذا اتخذوا اللثام سنة. ينظر: الصلابي محمد علي, الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين,ط1, دار التوزيع والنشر الإسلامية, القاهرة, 2003, ص12. ابن الأثير عمر عز الدين, الكامل في التاريخ, ج8, دار الكتاب العربي, بيروت, 2012, ص138.

وخلال رحلة يحي بن إبراهيم ألجدالي[1] إلى الديار المقدسة سنة 457ه/1035م نزل بالقيروان وحضر هناك مجلس العالم المغربي أبو عمران الفاسي[2] ومن خلال هذا اللقاء[3] تحدث إليه إبراهيم الجدالي عن سوء الأحوال ببلاده وجهل قبائلها بشؤون الدين فقال له "ما عندنا غير الشهادتين والصلاة ".وطلب منه أن يبعث معه أحد طلبته لتعليم وتفقيه قومه[4] فتم اختيار وجاج بن زلو[5] الذي بدوره اختار أحد تلاميذته للقيام بهذه المهمة بالصحراء وهو عبد الله بن ياسين[6] وبهذا وضع يحي بن إبراهيم الجدالي وأبو عمران الفاسي اللبنة الأولى لتأسيس دولة المرابطين[7].

ولما رأى عبد الله بن ياسين إعراض أهل تلك المنطقة عنه عزم الرحيل إلى بلاد السودان فلم يتركه يحي بن إبراهيم الجدالي, ودخلا جزيرة في البحر ودخلا معهما سبعة نفر من جدالة وفيها ابتنى عبد الله بن ياسين رابطة هناك وأقام في أصحابه يعبدون الله فتسامع الناس بهم حتى تمكن حبه من قلوبهم واجتمع له نحو ألف رجل وسماهم بالمرابطين للزومهم رابطته[8].

القيام والفتح:

قامت دولة المرابطين على أساس نشر المذهب المالكي, وإعادة نشر تعاليم الدين الإسلامي بعد ظهور الانحرافات, والعمل بجهد على العودة بالرعية إلى عهد السلف

[1] يحي بن إبراهيم الجدالي: زعيم قبيلة جدالة الصنهاجية لقب بالزعيم السياسي للمرابطين كان أميرا مطاعا في قومه اشتهر برجاحة العقل وحرصه على هداية قومه وهو أول من وضع أسس الدولة المرابطية رفقة الزعيم الديني عبد الله بن ياسين كانت بداية ظهوره عند ما خلف محمد بن تيفاوت اللمطي على قيادة القبائل الصنهاجي. ينظر: بن أبي زرع الفاسي, المصدر السابق, ص127.

[2] ابو عمران الفاسي: هو موسى بن حجاج الفاسي, أصله من فاس استوطن بالقيروان وتحصل على العلوم وأخذ كثيرا من علماء المشرق. ينظر: ابن أبي دينار القيرواني, المؤنس في أخبار إفريقية وتونس, ط1, مطبعة الدولة التونسية, 1286م, ص104. ابن فرحون المالكي, الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب, تح: مأمون بن محي الدين الجنان, ج2, دار الكتب العلمية, لبنان, 1996, ص337.

[3] إبراهيم القادري بوتشيش, المرجع السابق, ص9.

[4] ابن الأثيرعمر عز الدين أبي الحسن, الكامل في التاريخ, ج8, دار الكتاب العربي, بيروت, 2012, ص134.

[5] وجاج بن زلو: اللمطي من أهل السوس الأقصى, رحل الى القيروان وأخذ العلم عن الشيخ أبي عمران الفاسي, وعاد إلى السوس حيث بنى دارا سماها بدار المرابطين لطلبة العلم وقراءة القرآن. ينظر: مجهول, مفاخر البربر, تح: عبد القادر بوباية, ط1, دار أبي اقرأ للطباعة والنشر, 2005, ص145.

[6] عبد الله بن ياسين: بن مكوك بن سير بن علي الجزولي, ولد في قرية تمامونت في طرف صحراء غانة رحل إلى الأندلس في عهد ملوك الطوائف وحصل على علم كثير دخل المغرب الأقصى مع الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي إلى ديار جدالة. ينظر: ابن أبي زرع الفاسي, المصدر السابق, ص122_123.

[7] إبراهيم القادري بوتشيش, المرجع السابق, ص9.

[8] الناصري أبو العباس, الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية والموحدية, تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري, ج2, دار الكتاب, دار البيضاء, 1997, ص8.

الصالح[1]. وقد اعتمدت في التمكين لنفسها على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, لذلك لقيت دعوة المرابطين الترحيب واستنجد بها العلماء والفقهاء لتخليص البلاد الإسلامية من المظالم والمفاسد[2].

فانطلقت الحملات العسكرية بقيادة يحي بن إبراهيم تحت زعامة روحية مثلها عبد الله بن ياسين وقد شملت فتح درعة وسجلماسة[3] ثم توجهوا إلى أخطر كيان سياسي ألا وهو برغواطة ونشبت بينهم وقائع شديدة أصيب فيها عبد الله بن ياسين بجروح بالغة توفي على إثرها[4].

وهنا ظهرت شخصية جديدة يوسف بن تاشفين[5] الذي تمكن في إخضاع عدة مناطق ثم فكر في بناء حاضرة جديدة وهي مراكش[6] التي أصبحت عاصمة الدولة الجديدة[7], وبعدها تمت السيطرة على فاس ودخول مدينة سبتة وقام بحملات عسكرية نحو الجهات الشرقية حتى وصل تلمسان سنة 472ه/1049م وبعدها توغل في أجزاء المغرب الأوسط إلى أن بلغ وهران. وبذلك استسلمت القبائل الأخرى دون إكراه[8], حتى دخل مدينة الجزائر بني مزغنة سنة 1081م وبنى يوسف في مدينة الجزائر جامعا لا يزال إلى اليوم يعرف بالجامع الكبير وتوقف عند حدود مملكة بجاية التي حكمها بنو حماد,

---

[1] محمود حسن أحمد, قيام دولة المرابطين (صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى), دار الفكر العربي, القاهرة, ص325.

[2] الشيخ عدة, المرجع السابق, ص564.

[3] إبراهيم القادري بوتشيش, المرجع السابق, ص11.

[4] بن أبي زرع الفاسي, المصدر السابق, ص132.

[5] يوسف بن تاشفين: بن إبراهيم المصالي الصنهاجي اللمتوني الحميري أبو يعقوب أمير المسلمين وملك الملثمين ولد 400ه/500م. ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون, تاريخ ابن خلدون, تح: خليل شحادة وسهيل زكار, ج6, دار الفكر, بيروت, 1421ه, ص241.

[6] مراكش: تقع شمال أغمات بداخل المغرب, بناها يوسف بن تاشفين في صدر 470 وقيل 459 بعد أن اشترى أرضها من أهل أغمات بناها بالطين والطوب واستخرجوا مياهها وبذلك كثرت فيها البساتين. ينظر: الحميري أبي عبد الله محمد, الروض المعطار في خبر الأقطار, تح: حسان عباس, مكتبة لبنان, 1975, ص532.
ويوجد هناك اختلافات بين المؤرخين حول سنة التأسيس فذهب ابن عذارى في البيان المغرب وابن سماك العاملي في الحلل الموشية أن بناءها كان سنة 462ه/1069م, بينما يرى بن أبي زرع الفاسي في الأنيس المطرب وابن خلدون في العبر والناصري في الإستقصا أنها بنيت سنة 454ه/1063م. ينظر: ابن عذارى المراكشي, البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب, تح: احسان عباس, ج4, ط3, دار الثقافة, بيروت, 1983, ص19. ابن سماك العاملي, الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية, تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة, ط1, دار الرشاد الحديثة, الدار البيضاء, 1979, ص ص15_16. بن أبي زرع الفاسي, المصدر السابق, ص163. ابن خلدون عبد الرحمان, كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر, تح: محمد علي بيضون, المجلد6, ط2, دار الكتب العلمية, بيروت, 2003, ص218. الناصري أبو العباس, المصدر السابق, ص25.

[7] حمدي عبد المنعم, التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين, دار المعرفة الجامعية, 1997, الإسكندرية, ص44.

[8] ابراهيم القادري بوتشيش, المرجع السابق, ص14.

وسبب توقفه هو وصوله استغاثات وشكاوي أهل الأندلس. فعاد إلى مراكش سنة 475ه/1081م وبذلك توحد المغرب الأقصى بعد جهاد استمر ثلاثين عاما[1].

الازدهار والقوة:

ولما تكالب النصارى على الأندلس استنجدوا بالقائد يوسف بن تاشفين فلبى الدعوة. وأرادوا إظهار كلمة الحق في الأندلس, فقام بتوحيد الجهود وتنظيم الجيش المرابطي الأندلسي لمجاهدة النصارى . فالتقى الطرفان في موقعة حاسمة وهي معركة الزلاقة برجب 479ه/1056م وكان النصر فيها حليف المسلمين. واستمر الجهاد في الأندلس حتى أصبحت تحت حكم المرابطين[2].

لقد حكموا المرابطين دولة امتدت مابين المغرب والأندلس, بحيث كان موطنهم ما بين المحيط الأطلسي إلى غدامس[3]من جهة طرابلس[4] وبرقة[65].

صارت دولة المرابطين في ظل حكم يوسف بن تاشفين دولة متسعة الأطراف[7], فاكتسب بن تاشفين الشرعية في السلطان والحكم وصار يدعى بأمير المسلمين وناصر الدين, فأصلح أمور دولته, وعرف عهده بتعظيمه لشأن العلماء ويأخذ برأيهم فكان كثير المشورة لهم[8]. وكان لمنصب القاضي أهمية كبيرة في عهده فيعينهم من كبار العلماء دون الاستناد على العصبية القبلية فأكثر القضاة كانوا من غير قبيلة صنهاجة, وأنشأ أيضا ديوان الإنشاء لتحرير الرسائل تولاه رجال من أشهر الأدباء جلهم أندلسيون وكانت استعانة الأمير يوسف بهؤلاء الأدباء من أجلى مظاهر توثيق العلاقات بين الأندلس والمغرب[9] وحتى بالنسبة للجيش فقد قسم ابن تاشفين الجيش إلى فرقتين من الفرسان والمشاة ثم أنشأ فرقا من الرماة والسهام وبعد فتح الأندلس أشرك عرب بني هلال إضافة إلى الأندلسيين. وسلح الجيش بكل

---

[1] علي محمد الصلابي, دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي, ط1, دار التوزيع والنشر الاسلامية, القاهرة, 2003, ص ص69_70.

[2] بن أبي زرع الفاسي, المصدر السابق, ص59.

[3] غدامس: بفتح أوله ويضم, وهي مدينة بالمغرب في جنوبيه ضاربة في بلاد السودان. ينظر: ياقوت الحموي معجم البلدان, ج4, دار صادر, بيروت, ص187.

[4] طرابلس: بفتح أوله وبعد الألف باء موحدة مضمومة ولام وسين مهملة ويقال أطرابلس وهي بالرومية و الأغريقية ثلاث مدن وسماها اليونانيون طرابليطة. ينظر: ياقوت الحموي, المصدر نفسه, ج4, ص25.

[5] برقة: بفتح أوله والقاف, تشمل مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية. ينظر: ياقوت الحموي, المصدر نفسه, ج1, ص388.

[6] ابن خلدون عبد الرحمان, تاريخ ابن خلدون, ج6, دار الفكر للطباعة والنشر, بيروت, 2000, ص238.

[7] حسين مؤنس, تاريخ المغرب وحضارته, ج2, ط1, العصر الحديث للنشر والتوزيع, بيروت, 1992, ص34.

[8] ابراهيم حركات, المعرب عبر التاريخ, ج1, دار الرشاد الحديثة, الدار البيضاء, 2000, ص200.

[9] سعدون عباس نصر الله, دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين, ط1, دار النهضة العربية للطباعة والنشر, بيروت, 1985, ص166_167.

أنواع الأسلحة مغربية وأندلسية ونصرانية, وحتى بالنسبة للأسطول فبدأ اهتمام الأمير يوسف به منذ بلوغهم سواحل البحر المتوسط لحمايتها من الغزو الإفرنجي وخاض الأسطول أولى معاركه في سبتة سنة 476ه/1083م ضد بن سكوت البرغواطي, ثم استخدم الأسطول في عملية نقل الجند لعبور الأندلس غداة معركة الزلاقة[1].

مرحلة السقوط:توفي يوسف بن تاشفين عام 500ه/1106م شهر محرم, بعد أن قام بكل هذه الأعمال الجليلة, مخلفا وراءه دولة شاسعة تمتد من البليار شرقا إلى أحواز طليطلة شمال الأندلس غربا إلى أعماق الصحراء جنوبا. ورغم محاولة ابنه علي الذي خلفه استكمال الطريق[2] لكن طبيعة شخصية علي بن يوسف المتسامحة واللينة فقد كان متسامحا مع الحركات التي ظهرت في دولته مثل حركة المريدين أو ثورة قرطبة التي كانت سنة 515ه/1121م التي تم حلحلتها بالطرق الودية وبذلك يتضح أن أمير المسلمين لم يكن ميالا لسفك الدماء[3] فقد وصفه صاحب الإستقصا بقوله:" وكان ملكا عظيما حليما ورعا عادلا متواضعا"[4] وأيضا انغماس المرابطين في الترف والرفاهية وهذا الإقبال على الترف خفف من جفوة المرابطين وخشونتهم التي كان يعتز بها يوسف بن تاشفين, وبالتدريج فقد الملثمون الصفات التي جعلت منهم رجال حرب فتدهور حال الجيش المرابطي بالأندلس. أما الذين جاؤوا من بعد علي بن يوسف لم يكونوا في النهج الذي سار عليه الأوائل ففي أواخر أيام الدولة المرابطية ظهر صراع بين حكامها, حيث بايع الناس إبراهيم بن تاشفين غير أن عمه إسحاق بن علي رفض هذه البيعة ودعا لنفسه ووقع الخلاف والتناحر بينهما مما أضعفهم وأسقط حكمهم على يد الموحدين.[5]

[1] علي محمد الصلابي, فقه التمكين عند دولة المرابطين, ط1, مؤسسة اقرأ, القاهرة, 2006, ص ص165_166.
[2] حمدي عبد المنعم, المرجع السابق, ص59.
[3] عبد العزيز شاكي, اختلال أحوال المرابطين في المغرب والأندلس, مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية, المجلد11, العدد1, 2021, ص112.
[4] الناصري أبو العباس, المصدر السابق, ص132.
[5] سالم عبد العزيز , المغرب الكبير, ج2, دار النهضة العربية, بيروت, 1981, ص738.

2_الدولة الموحدية :

الدعوة و التأسيس: نشأت الدولة الموحدية في المغرب على أنقاض دولة المرابطين[1], فقد قامت على أساس ديني[2] وإثر دعوة إصلاحية قام بها محمد بن تومرت[3], فاجتمع له العديد من

طلبة العلم والقبائل البربرية خاصة مصمودة[4] ثم تحولت إلى ملك سياسي على يد الخليفة عبد المؤمن بن علي[5] وحتى بالنسبة للأندلس كان الجهاد فيها ضد الممالك الإسبانية[6] حتى تمكن عبد المؤمن من القضاء نهائيا على دولة المرابطين, وأصبحت دولته تمتد من برقة شرقا إلى المحيط غربا[7]

فقد بدأت رحلة محمد بن تومرت في طلب العلم بانتقاله إلى الأندلس ثم رحل إلى المشرق. فنزل بالإسكندرية حيث التقى بأبي بكر محمد الطرطوشي[8] وأدى فريضة الحج, ومن هناك

اتجه نحو العراق[9] وهناك التقى بالإمام الغزالي[10] وأبو البكر الشاشي.

---

[1] عمر راكة, العلاقات الدبلوماسية للدولة الموحدية بالممالك الإسبانية والبابوية, دورية كان التاريخية, العدد14, كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية, جامعة أبي بكر بالقايد, تلمسان, الجزائر, ديسمبر, 2011م, ص113.

[2] سالمة محمود محمد عبد القادر, المرابطون والموحدون: دراسة في عناصر الوحدة والتنوع الإداري والاقتصادي, مجلة آداب الرافدين, العدد72, كلية الأدب, جامعة الموصل, العراق, 2018م, ص342.

[3] محمد بن تومرت: هو محمد بن تومرت بن عبد الله بن يا مصال ابن تومرت من هرعة احدى بطون قبيلة مصمودة بمنطقة السوس. ينظر: ابن خلدون, المصدر السابق, ج6, ص225.

[4] عمر راكة, المراجع السابق, ص113.

[5] عبد المؤمن بن علي: أبو محمد بن علي الكومي بن أبو محمد ولد في قرية تاجرا وفي قريته حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة ودرس شيئا من الفقه والسيرة النبوية ثم رحل إلى تلمسان فتلقى العلم على عدد من كبار العلماء في مقدمتهم الشيخ عبد السلام التونسي ثم استعد للرحلة إلى المشرق طلبا لمزيد من المعرفة. ينظر: ابن خلدون, المصدر السابق, ص150.

[6] عمر راكة, المرجع السابق, ص115.

[7] سالمة محمود محمد عبد القادر, المرجع السابق, ص345.

[8] بن أبي بكر الطرطوشي: هو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القاضي أبو بكر الفهري الأندلسي الطرطوشي المعروف في عصره بابن أبي زندقة, لازم القاضي أبا الوليد الباجي وأخذ عنه العلم ثم رحل إلى المشرق ودخل بغداد وأخذ عن أبي بكر الشاشي توفي سنة 520ه. ينظر: ابن بشكوال, المصدر السابق, ص545.

[9] البيذق أبي بكر الصنهاجي, أخبار المهدي بن تومرت, تح: الحميد حاجيات, ط2, المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر, 1986, ص29.

[10] الإمام الغزالي: 450_505ه/1058_1111م تفقه على إمام الحرمين وبرع في علوم كثيرة وله مصنفات منتشرة كان من أذكياء العالم. رحل إلى الشام فأقام بدمشق وبيت المقدس مدة وصنف كتابه " إحياء علوم الدين". ينظر: أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي, البداية والنهاية, تح: عبد الله بن المحسن التركي, ج16, ط1, دار هجر, مصر, 1998, ص213.

أما فيما يخص لقائه بأبي حامد الغزالي, فأقوال المؤرخين تتراوح بين الإثبات والنفي[1].

ثم عاد آنفا إلى دياره وبداية مسيرة عودته كانت سنة 510ه/1116م[2]. وأثناء هذه الرحلة استغل الفرصة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتجريب قدراته اللغوية والعلمية, وأول محطة كانت الإسكندرية سنة 511ه/1117م ثم ركب البحر إلى إفريقية وفي طريقه مر بطرابلس وأقام مدرسا بها ثم انتقل إلى المهدية وبعدها قصد بجاية التي كانت تحت إمرة العزيز بالله بن المنصور بن الناصر بن علناس الحمادي فدرس فيها أياما لكن طريقته أزعجت الحاكم, مما أدى إلى الخروج منها قاصدا رباط ملالة القريب من بجاية .وهناك التقى بصاحبه والقائم بأمره من بعده عبد المؤمن بن علي[3]. الذي كان في رحلة علمية رفقة عمه إلى المشرق. فغير له وجهته وأقنعه بملازمته[4].

وفي الطريق العودة أيضا اختار بن تومرت أصحابه المقربين منهم أبو عبد الله بن محسن الونشريسي المكنى بالبشير وعبد الواحد الشرقي واصل معهم السير وفي مراكش التقى بأمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين فأنكر عليه بعض الأمور كالخمر وبذلك أمر بإخراجه قاصدا أغمات[5] ومنها إلى تينملل[6]. فأقام بها يبث علومه وهناك أظهر دعوته وادعى المهدوية وبايعه أتباعه كان أولهم عبد المؤمن بن علي سنة 515ه/1121م[7].

---

[1] فيما يخص لقاء محمد بن تومرت بلقاء الإمام الغزالي فأقوال المؤرخين تتراوح بين الإثبات والنفي فالمراكشي وابن خلدون كان من المشككين فيه فالأول ذكر في كتابه" وقيل أنه لقي أبا حامد الغزالي بالشام أيام تزهده" ومن الذين تفوه نجد ابن الأثير حيث يقول" الصحيح أنه لم يجتمع به فحج من هناك وعاد إلى المغرب". أما فيما يخص المثبتون لهذا اللقاء نذكر منها ابن القطان والغزالي في كتابه سر العالمين وكشف ما في الدارين قائلا"... وقرأه علي سرا بالمدرسة النظامية سرا من الناس... رجل من المغرب يقال له محمد بن تومرت". ينظر: المراكشي, المعجب في تلخيص أخبار المغرب, تح: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي, ط1, مطبعة الإستقامة, القاهرة, 1949, ص178. ابن الأثير, المصدر السابق, ص294. الغزالي أبو حامد, سر العالمين وكشف ما في الدارين, تح: محمد مصطفى أبو العلا, مكتبة الجندي, القاهرة, 1968, ص5_6.

[2] بن أبي زرع الفاسي, المصدر السابق, ص173.

[3] بن عياش الطاهر, الفقهاء المالكية و السلطة الموحدية في المغرب الاسلامي, 510_668ه/1116_1269م, مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط, جامعة الجزائر 2, أبو القاسم سعد الله, كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية, قسم التاريخ , إشراف: الحاج عيفة, 2014_2015م, ص ص61_62.

[4] بن عياش الطاهر, المرجع نفسه, ص62.

[5]أغمات: عبارة عن مدينتين سهليتين إحداهما أغمات أف إيلان و الأخرى أغمات وريكة, يفصل بينهما نهر حوله بساتين سكنها المصامدة. ينظر: البكري , المصدر السابق, ص153.

[6] تينملل: موضع في قلب جبال الأطلس قريب من منابع وادي نفيس الذي يجري جنوب نهر تنسيفت. ينظر: حسين مؤنس, موسوعة تاريخ الأندلس, ج2, ط1, مكتبة الثقافة الدينية, القاهرة, ص88.

[7]البذيق أبو بكر بن علي الصنهاجي, المصدر السابق, ص ص 34, 35.

التطور و الازدهار: لقد خاض الموحدون عدة معاركضد المرابطين كانت أعنفها معركة البحيرة عام 524ه/1130م, التي انتهت بهزيمة الجيش الموحدي[1] وبعد هذه المعركة لم يعش المهدي طويلا إذ توفي بعدها بأربعة أشهر[2], ثم أخذت البيعة لعبد المؤمن فقد كانت بيعتين [الخاصة والعامة] فكانت الخاصة لأهل الدار وهم خدمه وأخته وأكابر أصحابه, فكانت مدة كتمان وفاة المهدي بن تومرت وبيعة السر ثلاث سنوات, أما البيعة العامة تمت سنة 527ه فأضحى عبد المؤمن زعيم الموحدين الروحي والسياسي[3].

وعندما تولى عبد المؤمن قيادة الموحدين عمل جاهدا على تنظيم شؤونهم وتوحيد صفوفهم فبدأت رحلته بالسيطرة على الحواضر المغربية واقامت دولة واسعة, فكانت توسعاته على حساب الأراضي المجاورة له في المغرب الأقصى ثم ضم المغربين الأوسط والأدنى وكذلك الأندلس[4], فقام بالتوجه إلى تادلا[5] ثم درعة[6] وعدة مناطق أخرى, وفي سنة 535ه/1139م خرج عبد المؤمن إلى المغرب الأوسط فأطاعته غمارة, وبعدها بسنتين توفي علي بن يوسف بن تاشفين ثم واصل عبد المؤمن توسعاته فأخضع زناتة وقبائل مديونة شرقا[7], ثم دخل تلمسان وكان ذلك سنة 533ه/1138م بعد حصارها فغادر الأمير المرابطي تاشفين بن علي إلى وهران. لكن الموحدون علموا بذلك فتبعوه وأثناء محاولة فراره تعثر به الفرس وسقط فمات سنة 539ه/1144م[8]. ومن ذلك أخذ الموحدون مدينة فاس وطنجة ثم سلا وسبتة[9]. ثم دخل مدينة مراكش سنة 542ه/1145م. ومن ذلك دخلت

دولته في عهد الإزدهار فتوسعت أكثر وغلب عليها الطابع العمراني وحتى من حيث الفكر تطورت وهذه الفترة شملت خلافة يوسف ويعقوب المنصور وأكثر خلافة الناصر[10].

---

[1] ابن الأثير, المصدر السابق, ص660.
[2] السيد عبد العزيز سالم, المغرب الكبير, ج2, دار النهضة العربية, بيروت, 1981, ص780.
[3] صالح بن قربة, عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين, المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر, 1997, ص24.
[4] صالح بن قربة, المرجع نفسه, ص ص 25_26.
[5] تادلا: تقع ببلاد المغرب وهي مدينة قديمة حصنها منبع بناها المرابطون. ينظر: الحميري, المصدر السابق, ص57.
[6] درعة: تقع بالمغرب تبعد عن سجلماسة بثلاث مراحل. ينظر: الحميري, المصدر نفسه, ص236.
[7] شرقي نوارة, الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين, مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي, كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية, قسم التاريخ, جامعة الجزائر, 2007_2008, ص19.
[8] مجهول, المصدر السابق, ص ص 133_134.
[9] صالح بن قربة, المرجع السابق, ص ص 31_32.
[10] عبد الله العروي, مجمل تاريخ المغرب, ج2, ط3, المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء, 2000, ص170.

فعبر يوسف الموحدي إلى الأندلس سنة 567ه/1171م, وعمل على مهادنة النصارى وكانت له فتوحات كثيرة, أصيب بمدينة شنترين ومات هناك سنة 580ه/1184م متأثرا بجروحه[1] ومن بعده تولى ابنه يعقوب المنصور ففي تلك الفترة استولى بنو غانية[2]

بجاية وقلعة بني حماد[3] فجرت ثورة بينهم وبين الحماديين سنة 581ه/1185م فاستطاع الحماديون هزيمتهم[4]. ثم بعدها حدث انتصارا كبيرا للموحدين ضد النصارى في معركة الإرك سنة 591ه/1194م على يد المنصور الذي توفي سنة 595ه/1198م فخلفه ابنه الناصر الذي تمكن من استرجاع الأراضي الموحدية التي أخذوها بنو غانية[5].

السقوط: كانت بداية الانحدار أواخر فترة الخليفة الناصر رابع الخلفاء, وقد أثبت فشله بانهزامه وانكساره أمام النصارى بالأندلس في معركة حصن العقاب سنة 609ه/1212م[6] وبوفاة الناصر خلفه ابنه يوسف المنتصر, وبدأت في عهده الحروب والفتن ومال للدعة مهملا أمور الخلافة إلى أن توفي سنة 620ه/1223م[7] وبعده دخلت الدولة الموحدية مرحلة الصراع الداخلي على انتزاع العرش وانهيار قواها بالمغرب والأندلس[8] , وسيطر الأشياخ والوزراء والولاة على بعض الخلفاء وغدت الأندلس مسرح الحرب الأهلية[9].

[1] الحافظ الذهبي, العبر في خبر من غبر, تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول, ج3, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت, 1985, ص80.
[2] بنو غانية: أسرة بربرية تنتمي إلى قبيلة مسوفة المرابطية وهم فرع من صنهاجة البربرية التي استوطنت الصحراء الكبرى وأمهم غانية, وقد كان المرابطون ينسبون أبنائهم إلى أمهم بعادة عندهم كون الرجل المرابطي يتزوج أكثر من امرأة. ينظر: عبد الواحد المراكشي, وثائق المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا, تح: حسين مؤنس, ط1, مكتبة الثقافة الدينية, القاهرة, 1997, ص54.
[3] المراكشي, المصدر السابق, ص230.
[4] عبد الله العروي, المرجع السابق, ص170.
[5] المراكشي, المصدر السابق, ص ص 282_ 283.
[6] عز الدين أحمد موسى, تنظيمات الموحدين ونظمهم في المغرب, ط1, دار الغرب الإسلامي, بيروت, 1999, ص67.
[7] محمد عبد الله عنان, عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس, قسم الثاني, ط1, مطبعة لجنة التأليف والترجمة, القاهرة, 1964, ص336.
[8] محمد عبد الله عنان, المرجع نفسه, ص329.
[9] عز الدين أحمد موسى, المرجع السابق, ص56.

الفصل الأول

الفصل الأول: نصارى المغرب الإسلامي قبل القرن 5ه/11م.

المبحث الأول: تعريف أهل الذمة والنصارى.

المبحث الثاني: النصارى قبيل ظهور المرابطين والموحدين.

المبحث الثالث: الأحكام الفقهية المتعلقة بالنصارى

المبحث الأول: تعريف أهل الذمة و النصارى

1 تعريف أهل الذمة:

الأهل لغة: أهل الرجل عشيرته وذو قرباه[1].

أما الذمة: هي العهد و الأمان والضمان[2] **والذمة بالكسر:** العهد والكفالة[3].

لقوله تعالى:" كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ "[4]
والذمي: هو من تصالح مع المسلمين من النصارى أو اليهود على دفع الجزية والإقامة في دارهم دون الإخلال بما تصالحوا عليه[5].

اصطلاحا: أطلق هذا الاسم على الرعايا غير المسلمين. فهي تعني الأمان الذي يكسبهم حقوقهم ويلزمهم بواجباتهم كذلك. وأطلق عليهم أيضا إسم أهل الكتاب. وهو مصطلح يتردد كثيرا في نوازل الفترة[6]. فقد سموا بهذا الاسم لأنهم دفعوا الجزية للتأمين على أنفسهم وأصبحوا في ذمة المسلمين[7].

فأهل الذمة هم المعاهدون من النصارى واليهود وغيرهم ممن يقيم في دار الإسلام دون غيرهم من عبدة الأوثان واعترافهم بالكتب المنزلة عليهم "التوراة والإنجيل" جعل لهم مكانة مرموقة[8] لقوله تعالى:" مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ "[9].

---

[1] الفيروز أبادي مجد الدين , القاموس المحيط, ج1, دار الحديث, القاهرة, 2008, ص87.
[2] الخربوطلي علي حسن, الإسلام وأهل الذمة, المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية, القاهرة, 1969, ص65.
[3] الفيروز أبادي, المصدر السابق, ص597.
[4] الآية 08 من سورة التوبة.
[5] الشافعي أبي الحسن على, منهج الصواب في فتح استكتاب أهل الكتاب, تح: سيد كسوري, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت, 2002, ص7.
[6] بوتشيش إبراهيم القادري, مباحث للتاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين, دار الطليقة, بيروت, ص66.
[7] الخربوطلي علي حسن, المرجع السابق, ص65.
[8] المضيان ماجد بن صالح, دور أهل الذمة في إقصاء الشريعة الإسلامية, تقديم: عبد الرحمان بن صالح المحمود, دار الهدي النبوي, مصر, 2007, ص27.
[9] الآية 105 من سورة البقرة.

لقد عاشت جاليات من أهل الذمة ببلاد المغرب. إضافة إلى اسم أهل الذمة عرف نصارى الأندلس بالمستعربين وهم من أهل ذمة الأندلس الأصلين الذين بقوا على ديانتهم النصرانية وفضلوا العيش تحت سلطة المسلمين بعد فتح الأندلس[1].

أما في الفقه الإسلامي فتعني العهد الذي يعطي للقوم الذين لم يدخلوا في الإسلام عند فتح المسلمين لبلادهم ولا يسترقون, والحكمة في عقد الذمة معهم هو اكتمال دخولهم في الإسلام عن طريق مخالطتهم للمسلمين وإطلاعهم على شرائع الإسلام وليس المقصود من عقد الذمة تحصيل المال[2].

2- النصارى:

لغة: مشتقة من الناصرة[3] وهي مدينة بفلسطين عاش فيها عيسى عليه السلام وأطلقها أتباعه على دينهم[4] وأيضا مشتقة من ناصري ويقال نصره أي جعله نصرانيا[5] كما جاء في الحديث الشريف:" فأبواه يهودانه أوينصرانه..."[6]

وقد ورد مصطلح النصراني في مواضع عديدة من الأناجيل[7].

اصطلاحا: النصرانية هي دين أتباع عيسى عليه السلام بن مريم وكانوا يعرفون في اليهودية باسم النصارى, فهي الرسالة التي أنزلت على عيسى مكملة لرسالة موسى عليهما السلام ومتممة لما جاء في التوراة موجهة لبني إسرائيل[8].

[1] شرقي نوارة, المرجع السابق, ص65.
[2] المضيان ماجد بن صالح, المرجع السابق, ص27.
[3] الناصرة: قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلا, فيها ولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ومنها اشتق اسم النصارى. ينظر: ياقوت الحموي, المصدر السابق, ج5, ص252.
[4] شريف عبد القادر, النصارى ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية دولة الموحدين21_641ه/668_1269م, مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص التاريخ الوسيط, جامعة الجزائر2, كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية, قسم التاريخ, إشراف: لطيفة بن عميرة, 2011_2012م, ص9.
[5] عبد الرزاق بن عبد المجيد ألارو, مصادر النصرانية دراسة ونقدا, ج1, ط1, دار التوحيد للنشر,2007, ص41.
[6] صحيح البخاري, رقمه 2658.
[7] شريف عبد القادر, المرجع السابق, ص10.
[8] شريف عبد القادر, المرجع نفسه, ص11.

فهذا المصطلح أطلق على من اعتنق النصرانية لأنهم ناصروا بعضهم أو كانوا أنصار الله أو نسبة إلى بلد المسيح الناصرة. وقد أطلق القرآن الكريم عليهم النصارى[1] لقوله تعالى:" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ "[2].أطلقت على النصارى في فترة العصور الوسطى ألقاب عدة فقد عرفوا بالروم والمعاهدين[3] والإفرنج[4].

المبحث الثاني: النصارى قبيل ظهور المرابطين والموحدين.

مرحلة الفتح:

بعد اتجاه عمرو بن العاص إلى إفريقية لتأمين الجهة الشمالية المصرية التي كان يسكنها عناصر بزنطية أطلق عليهم كتاب العرب اسم الروم وكانوا نصرانيين إضافة إلى البربر السكان الأصليين. فلم يكونوا يدينوا بالنصرانية إلا عدد قليل الذين اختلطوا بالروم خاصة. وعندما توجه المسلمون لفتح بلاد المغرب لقوا هؤلاء النصرانيين الذين اختلفت مواقفهم من الفتح بين مواجهة عسكرية وخضوع للسلطة[5].

لاقت الحملات الأولى للفتح عدة مواجهات عسكرية. فعبد الله بن سعد واجه مقاومة عنيفة من الروم بقيادة البطريرق جرجير في معركة سبيطلة سنة 27ه/647م بإفريقية[6], وفي ولاية أبي المهاجر دينار على المغرب سنة 55ه/676م تحالف نصارى البربر مع الروم لصد المسلمين بقيادة كسيلة[7].

أما عقبة بن نافع فاجتمع له الروم و البربر بقيادة كسيلة النصراني وواجهوه بمنطقة تهودة[8] فقتل والعديد من أصحابه[9].

---

[1] عرفان عبد الحميد فتاح, النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها, ط1, دار عمار للنشر والتوزيع, عمان, 2000, ص ص 15_16.

[2] الآية 14 من سورة الصف.

[3] ابن عذارى المراكشي, ج4, المصدر السابق, ص40.

[4] ابن خلكان, المصدر السابق, ص51.

[5] شريف عبد القادر, المرجع السابق, ص32.

[6] حسين مؤنس, فتح العرب للمغرب, مكتبة الثقافة الدينية, القاهرة, ص81_82.

[7] حسين مؤنس, المرجع نفسه, ص161.

[8] تهودة: بالفتح ثم الضم و سكون الواو, اسم لقبيلة من البربر بناحية إفريقية. ينظر: ابن عبد الحكم, فتوح إفريقيا والأندلس, تح: عبد الله أنيس الطباع, مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر, بيروت, 1964, ص59.

[9] ابن عبد الحكم, المصدر نفسه, ص59.

وبعد موقعة تهودة تشجع الروم وعند استلاء حسان بن النعمان على قرطاجة وحاصرها فر النصارى إلى صقلية والأندلس ثم اجتمع الروم والبربر مرة أخرى لمواجهة حسان في

صطفورة[1] فقاتلهم وسابهم فأخذوا هاربين إلى مدينة باجة لكي يتحصنوا بها وهرب البربر إلى إقليم بونة, وبعد عودة حسان إلى القيروان لتنظيم ولايته وضع

الخراج[2] على عجم إفريقية[3] ومن قام معهم على دين النصرانية من البربر وهكذا استطاع حسان أن يوجه ضربة قوية إلى النصرانية في بلاد المغرب[4].

وأثناء ولاية موسى بن نصير على المغرب استطاع إخضاع بعض القبائل البربرية في المغرب الأقصى التي كانت تدين بالنصرانية فاعتنقت الإسلام ومنهم بربر مدينة أغمات[5], كما حاصر مدينة أصيلا وتيطوان وطنجة كان سكانها نصارى ففروا إلى شبه جزيرة إيبيريا[6].

لكن فيما بعد بدأ النصارى في الإخضاع للسلطة الجديدة, فعند فتح عمرو بن العاص لبرقة قبلوا أهلها النصارى دفع الجزية مقابل العيش تحت راية الإسلام[7], كما تفاوض عبد الله بن سعد بن أبي سرح مع جرجير على الانسحاب من المناطق التي فتحها مقابل مبلغ من المال[8] وفيما يخص أبو المهاجر دينار وبفضل سياسته استطاع أن يكسب كسيلة إلى صف المسلمين بأسلوب المهادنة وفي سنة 59ه توجه إلى قرطاجة لمحاصرة الروم واشتد القتال بينهم مما استدعى الروم إلى الدخول في مفاوضات مع المسلمين وتوصلا الطرفان إلى الاتفاق على تنازل الروم على الجزيرة المحصورة بين الحمامات وموقع تونس مقابل التراجع عن قرطاجة[9]

[1] صطفورة: اقليم يضم ثلاث مدن وهي أنبلونة وباجة وبتروت قريبة من تونس بها أنهار واسعة. ينظر: ابن حوقل, صورة الأرض, ج1, ط2, دار صادر, بيروت, ص74.

[2] الخراج: نوع من الضريبة على الأرض وهي مقدار معين من المال يحدده الإمام من خلال أهل الخبرة وتفرضه الدولة سنويا على الأرض التي أخذها المسلمون من الكفار سواء بالصلح أو القهر. ينظر: عبد الله أبو بكر النيجيري, مفهوم الخراج في الفقه الإسلامي [دراسة تاريخية فقهية], المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي, العدد23, 5/3/2021, ص844.

[3] ابن عذارى المراكشي, المصدر السابق, ج1, ص133.

[4] ابن عبد الحكم, المصدر السابق, ص64.

[5] موسى لقبال, المغرب الإسلامي, ط2, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر, 1951, ص87.

[6] بديعة لخرازي, تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى, ط1, مطبعة المعارف الجديدة, الرباط, 2007, ص19.

[7] البكري أبي عبيد الله بن محمد , المسالك والممالك, تح: جمال طلبة, ج2, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت, 2003, ص176.

[8] حسين مؤنس, المرجع السابق, ص185.

[9] حسين مؤنس, المرجع نفسه, ص189.

وفي ولاية عقبة بن نافع الثانية عندما عزم السير نحو مدينة طنجة التقى بالحاكم يوليان الذي لم يظهر أي مقاومة بل قدم الاعتراف بالتبعية والولاء[1].

مرحلة قيام الدويلات المستقلة:

يعتبر النصارى أحد شرائح مجتمع المغرب الإسلامي, فقد تمتعوا بمكانة اجتماعية مرموقة وشاركوا في جميع مجالات الحياة واختلطوا بالمسلمين مما أدى إلى تبادل الثقافات والعادات.

وتأثروا بالمجتمع واندمجوا فيه[2].

يظهر تأثير الطائفة النصرانية في الفن المعماري بالمدن الرستمية خاصة بسدراتة, فالأثار تدل على أن فنها المعماري متصل بفنون إفريقية وأن زخرفها يشبه زخارف الأديرة القبطية المصرية[3], وأيضا كانت لهم مكانة عند بعض الأئمة الرستميين, فأبي بكر بن أفلح 238_241ه/825_855م استعان بالنصارى المقربين إليه للقضاء على ثورة محمود بن الوليد, وأيضا حاشية الإمام أبي حاتم يوسف 281_294ه/894_906م تضم مجموعة من النصارى[4]. ويورد أبو زكريا في كتابه سير وأخبار الأئمة إشارات عن الوجود النصراني فيقول:"إن أهل ورقلة سألوا يعقوب بن أفلح, فقالوا له: أتحفظ القران الكريم كله. فقال يعقوب: معاذ الله أن ينزل على موسى وعيسى ما لم أحفظه وأعرف معناه, فكيف بكتاب أنزله الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم" وهذا ما يبين حفظ بعض الأئمة للإنجيل أو الإطلاع عليه ومدى احتكاكهم بالنصارى[5].

أما في المجتمع الاغلبي مثلوا طبقة اجتماعية حافظت على ثقافتها التقليدية من خلال السكن في أحياء خاصة, والمحافظة على عاداتهم النصرانية. فقد اعتمد عليهم الأمراء في تشييد المباني والقصور خاصة العبيد الذين أصبحوا فيما بعد مواليهم[6].

---

[1] شارل أندري جوليان, تاريخ إفريقيا الشمالية, تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة, ج2, الدار التونسية للنشر, 1983, ص20.

[2] شريف عبد القادر, الأحكام المتعلقة بالنصارى في بلاد المغرب الإسلامي وأحوالهم الإجتماعية [21_676ه/642_1269م], مجلة الإنسان والمجال, العدد2, ديسمبر 2022, ص89.

[3] شريف عبد القادر, المرجع نفسه, ص89.

[4] شريف عبد القادر, المرجع السابق, ص44.

[5] ابي زكريا يحي, سير الأئمة وأخبارهم, تح: اسماعيل العربي, ط2, دار الغرب الاسلامي, بيروت, 1982, ص190.

[6] شريف عبد القادر, الأحكام الفقهية المتعلقة بالنصارى, المرجع السابق, ص90.

كما استطاع الأمراء الأغالبة تكوين قوة عسكرية متكونة غالبيتها من الصقالبة الذين عملوا كجند في الجيش الأغلبي[1] وأيضا الأمير الأغلبي استقبل سفراء شارلمان سنة 180ه عندما قدموا لنقل رفات القديس سان سيبرين في القصر القديم[2] لكن ومع ذلك, عندما شرع

إبراهيم بن الأغلب في بناء أسطول لمواجهة الأساطيل البيزنطية, فنصارى إفريقية نقلوا الأخبار لقائد الأسطول البيزنطي المقيم بصقلية[3].

وفي عهد الأدارسة حدث تناقص في عدد النصارى بسبب سياستهم 171_363ه/788_974م المتشددة تجاههم قصد حملهم على اعتناق الاسلام[4], وفيما يخص الجند فكان بتصرف من ظرف سياسي لاخر مقابل الإغراءات المادية. ففي أواخر هذه الدولة في زمن الحسن بن كنون وصراعه مع خلفاء الأندلس, كانت استمالة الجنود عن طريق الامتيازات المالية حاضرة بقوة[5]

أما عهد الفاطميين فقد مثل النصارى شريحة هامة من المجتمع وكانوا يدفعون الجزية بانتظام وكانت تسدد بالنقود الذهبية بدلا من الدراهم لأنها كانت تقدر على أساس النصاب لأن الدولة الفاطمية ركزت على جمع الموارد المالية من الخراج و الزكاة[6].

كما اعتمد الفاطميون على المصالح المالية وحتى الإدارية كثيرا على الموالي ذو الأصل النصراني وذلك من أجل خبرتهم, فالخليفة الفاطمي الأول عين على بيت المال نضير الصقلبي الملقب بالخازن وبعدها عين صقلبي اخر المعروف بالريحاني[7]. وقد تمكن الحماديون من إقامة علاقات وطيدة وطيبة مع النصارى فالناصر بن علناس أقام علاقات ودية مع البابا جريجوري السابع ومدن الساحل الإيطالي وهذا الاتفاق منح الرعايا المسحيين أمانا كما اشترى الناصر جميع الأسرى المسحيين الذين عثر عليهم بمملكته وأرسلهم هدية

---

[1] ابن وردان, تاريخ مملكة الأغالبة, تح: محمد زينهم ومحمد عزب, ط1, مكتبة مد بولي, 1988, القاهرة, ص33.

[2] ابن وردان, المرجع نفسه, ص40.

[3] محمد الطالبي , الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184_296ه/800_909م, تعريب: المنجي الصيادي, ط1, دار الغرب الإسلامي, بيروت, 1985, ص606.

[4] صديقي عبد الجبار, الطائفة المسيحية في المغرب الإسلامي تحت حكم المرابطين: تعايش أم اضطهاد, مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية, العدد2, 2021, ص28.

[5] عبد العزيز غودو, الارتزاق, دورية كان التاريخية, العدد7, 2006, ص76.

[6] شريف عبد القادر, الأحكام الفقهية, المرجع السابق, ص91.

[7] فرحات الدشراوي, الخلافة الفاطمية بالمغرب, تعريب: حمادي الساحيلي, ط1, دار الغرب الإسلامي, بيروت, 1994, ص481.

إلى البابا كما قام رجال الكنيسة بإرسال رسائل شكر والبابا أيضا بدوره أرسل أعظم رسالة أرسلت من باباوات روما إلى المغرب سنة 469ه/1076م تدل على ما كان يكنه البابا

للناصر من احترام وتقدير[1] وقد استقبل الحماديون الكثير من المسحيين واستعانوا بهم في أعمالهم خاصة العمرانية منها لكن رغم هذا فالمسحيين كانوا ينظرون إلى الأمور نظرة

مصلحية عكس الحماديين تماما, فقد حاولوا إغراق الأسطول الحمادي أمام المهدية عام 529ه ولم يمنعهم من التوغل في الأرض الحمادية إلا ظهور الموحدين[2].

المبحث الثالث: الأحكام الفقهية المتعلقة بالنصارى

لقد حرس الدين الإسلامي على مراقبة أهل الذمة في تطبيقهم للقوانين[3] فبعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب حافظت بعض الفئات على دينهم المسيحي[4]. كما أنها خضعت للتشريع الإسلامي في إطار المذهب المالكي الذي كان سائدا آنذاك[5]. فكتب فقهية عدة عالجت أحوال النصارى ضمن الأحكام المتعلقة بأهل الذمة كالإرث والزواج والطعام والقضاء وحياتهم الاجتماعية وحتى الاقتصادية وكذلك الكنسية[6].

لذلك خضعت منه هذه الفئة إلى رقابة المحتسب الذي يعتبر الممثل الشرعي للسلطة. فكان يلزمهم بنهج معين في زيهم ولباسهم حيث كان لهم شارات تميزهم عن غيرهم كوضع رقاع والزنار[7] ولا يجوز لهم مخالفة ذلك إضافة إلى مراقبة أبنيتهم وكذا في ممارسة شعائرهم الدينية واحترام أماكن عبادتهم[8] وحتى في نشاطاتهم التجارية لم توضع أية قيود عليهم فيما يتعلق بأنشطتهم الاقتصادية على غرار منع الخمر والخنزير للمسلمين.

فالعديد من كتب النوازل والفقه عالجت القضايا التي تضمنت الشروط المنظمة لحياة النصارى في الديار الإسلامية ومنها بلاد المغرب الإسلامي نذكر بعضها:

---

[1] عبد الحليم عويس, دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري, ط2, دار الصحوة للنشر والتوزيع, القاهرة, 1991, ص187.

[2] عبد الحليم عويس, المرجع نفسه, ص190.

[3] المجيلدي أحمد سعيد, التسيير في أحكام التسعير, تح: موسى لقبال: ط1, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر: ص27.

[4] رضوان البارودي, دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس, مركز الإسكندرية للكتاب, الإسكندرية, ص185.

[5] موسى لقبال, الحسبة المذهبية في بلاد المغرب, ط1, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر, ص27.

[6] موسى لقبال, المرجع نفسه, ص27.

[7] الزنار: بضم الزاي وتشديد النون, جمع زنانير, حزام يشده النصراني على وسطه. أما الرقاع: قطعة النسيج ونحوه الذي يسد بها خرق الثوب. ينظر: ابن المنظور الأنصاري, لسان العرب,دار الحديث, القاهرة,2003, 413.

[8] المجيلدي أحمد سعيد, المرجع السابق, ص27.

_ يمنعون من إظهار صلبانهم في أعيادهم وأثناء استسقائهم فإن أظهروها كسرت.

_ عدم المجاهرة بشرب الخمر والخنازير أمام المسلمين.

_ أن يمنعوا من إعادة ترميم كنائسهم, إلا إذا كان ذلك شرطا في العهد الذي أبرمه المسلمون معهم.

_ ألا يتشبهوا بالمسلمين في زيهم ويؤدبوا على ترك ارتداء الزنانير.

_ قتل كل من يتجرأ منهم على سب الله أو نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وقد أورد الونشريسي فتوى مفادها: " منع النصارى من بيع الخبز والمائعات, وكذلك غسل ثياب الناس كما لا يجوز معاملة النصراني بائع الخمر للمسلمين ولا تؤخذ منهم الجزية من هذا المال" وما يؤكد على ذلك ما حدث في القيروان عندما كسرت قدورهم التي يعتق فيها الخمر, وتم صهرها وتحويلها إلى نحاس ثم ردت إلى أصحابها كعقوبة لهم. وفي باب تأديب النصارى المخالفين للأحكام هناك فتوى في النصارى المتشبهين بالمسلمين, وليس عليه زنار بالضرب والحبس مع الطواف به في مواضع وجود النصارى ليكون عبرة لمن رآه[1].

فالنصارى التزموا بتلك العهود على أنفسهم, وحتى الدولة الإسلامية لم تخرج في تعاملهم مع أهل الذمة من النصارى على أحكام الشريعة الإسلامية والسنة النبوية التي نصت على: تخييرهم بين الإسلام أو دفع الجزية السنوية لبيت المال[2]. تؤخذ جزاءا على كفرهم لأن ذلك يعتبر حماية لهم داخل الديار الإسلامية[3].

أما فيما يخص الفتوى التي أصدرها القاضي أحمد بن طالب الذي تولى القضاء سنة 267ه في عهد الأمير إبراهيم بن أحمد بن محمد فقد جاء فيها:" على النصارى وضع الرقاع على أكتافهم, وعدم شرب الخمر أو بيعه للمسلمين" وكتب إلى قضاته بأن يلزموهم باستعمال الزنانير العريضة حتى يعرفوا بها ومن خالف ذلك منهم ضرب عشرين سوطا ثم يحبس[4]. و من الفتاوى التي جاءت في حق النصارى "فتوى القابسي" الذي سئل عن استعمال الحجارة المتأتية من بعض الكنائس في مدينة قسطيلية في بناء مسجد, فأجاب على

[1] الونشريسي أحمد بن يحي, المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب, تح: محمد حجي, ج6, دار الغرب الإسلامي, بيروت, 1981, ص68_421.
[2] المجيلدي, المصدر السابق, ص79.
[3] شريف عبد القادر, المرجع السابق, ص85.
[4] عبد المنعم حمد حسين, التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين, دار المعرفة الجامعية, 1997, ص335_336.

ذلك بالجواز مدام الكنيسة مهدمة كما أجازت فتوى اللخمي "بيع أحباس النصارى", وتخصيص مداخيلها للمسلمين الذين كانوا في حاجة إليها. وفي فتوى أخرى للقابسي حول المتعلمين حيث قال:" يجب أن يتمنعوا عن أخذ الهدايا في أعياد أهل الكفر" كما لم يكن

للنصارى الحق في زيادة ارتفاع كنائسهم ولا بإعادة بناء الكنائس المبنية بالطوب لترمم بالحجارة فهذه الفتاوى تؤكد على مدى حرص المسلمين على تنظيم طريقة التعامل مع

النصارى خوفا من الوقوع في المحظور والهدف من ذلك أيضا تنظيم المجتمع وفق مبادئ إسلامية[1].

وبعض النوازل تشير إلى التسامح الديني. فالونشريسي يذكر: إن أهل الذمة في بلاد المغرب كانوا يحلفون اليمين في دور عبادتهم فكان النصراني يحلف يوم الأحد إضافة إلى التعاون والتبادل الذي كان يتم بين الطرفين فقد شارك المسلمون النصارى في الاحتفال بالنيروز_ عيد الربيع_ وعيد المسيح عليه السلام وعيد يناير, وكانوا يتهادون بينهم صنوف الأطعمة وأنواع التحف[2].

[1] كمال أبو مصطفى, جوانب من حضارة المغرب والأندلس من خلال نوازل الونشريسي, مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية, 1997, ص39.
[2] كمال أبو مصطفى, المرجع نفسه, ص50.

يعتبر أهل الذمة من الرعايا غير المسلمين لكنهم عاشوا في ديار الإسلام مأمنين على أنفسهم بدفع الجزية, ومن عناصر أهل الذمة التي عاشت في المغرب الإسلامي النصارى.

فقد وجدت جاليات من فئة النصارى في المغرب الإسلامي قبل الفتوحات الإسلامية وحتى منذ بدايات الفتح الإسلامي للمنطقة. وكان يطلق عليهم أيضا اسم الروم والمعاهدين وحتى الإفرنج, ففي أيام الفتح لاقى الفاتحون من هؤلاء النصارى اعتراض ومواجهات عسكرية رافضين ذلك, لكن سرعان ما تقبلوا الأمر وخضعوا للسلطة فكانوا يقبلون بفتح المناطق مقابل دفع الجزية للعيش تحت راية الإسلام وحتى في عهد الدويلات المستقلة بقيت فئة النصارى متعايشة مع المسلمين بل وشاركوا في جل المجالات منها المعمارية والإدارية والمالية حتى أئمة وأمراء وخلفاء تلك الفترة قربوهم إليهم وأعطوهم مكانة في المجتمع الإسلامي وبقوا محافظين على عداتهم وتقاليدهم, في ظل أحكام فرضها عليهم الدين الإسلامي ومراقبتهم.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: نصارى المغرب الإسلامي في عهد المرابطين

المبحث الأول: سياسيا عسكريا

المبحث الثاني: اقتصاديا

المبحث الثالث: دينيا اجتماعيا

أشكال تواجد النصارى في المغرب:

لقد قلت الوثائق والمصادر المتحدثة عن موضوع أحوال النصارى في عصر المرابطين[1], وتبعثر المعلومات بين ثناياها. فالميزة الغالبة للكتابات التاريخية متخصصة في شؤون أهل الذمة في تلك الفترة هي الندرة, فتدوين تاريخ الأقليات لم يشكل أولوية بالغة بالنسبة للمؤرخين المسلمين خلال تلك الفترة.[2] باستثناء عدد قليل من الكتابات التي صاحبت الحملات العسكرية.[3] والتي نقلت إنطباعا غير مكتمل عن الوجود النصراني في المغرب الإسلامي. ويعود ذلك للاهتمام بشكل رئيسي على الأحداث السياسية المرتبطة بالدولة والأسر الحاكمة دون الخوض في التفاصيل وقضايا المجتمع. فظهرت دراسات المستشرقين مثل كتابات دوزي وتيراس ودوفورك لتدرس العديد من قضايا النصارى الموجودة في المصادر الإسلامية إلا أن هته الدراسات فيها كثير من التحيز والتحامل على المرابطين.ومن الدراسات الغربية المتحيزة التي تتهم المرابطين بإساءة معاملة النصارى نذكر: تيراس ودوفورك الذين رؤوا أن المرابطين تعاملوا بالعنصرية مع النصارى وفيلارد كذلك[4]. وحتى دوزي الذي كان شديد الوطأة على المرابطين وأنقص منهم كدولة وحكومة فقال:" ... إن قواد يوسف حينما قدموا إلى إسبانية كانوا حقا أميين ولكنهم كانوا أتقياء شجعانا أمناء, وقد اعتادوا على حياة الصحراء البسيطة المتقشفة فلما أغنهم كنوز الأمراء الأندلسيين التي أغدقها عليهم يوسف فقدوا فضائلهم بسرعة... ولقد كانت حضارة الأندلس بالنسبة لهم مشهدا جديدا. ولما كانوا يخجلون من بربريتهم فقد أرادوا أن يندمجوا فيها... بيد أنهم كانوا لسوء الحظ من ذوي الجلد الخشن." وحتى بعض الدراسات الحديثة اتبعت نفس توجه الدراسات الاستشراقية عبد الله عنان في رده على إستياءات دوزي للمرابطين " وهو قد يكون على حق في بعض الأحيان"[5]

[1] إبراهيم القادري بوتشيش, مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين, دار الطليعة للطباعة والنشر, بيروت, ص67.
[2] صديقي عبد الجبار, الطائفة المسيحية في المغرب الإسلامي تحت حكم المرابطين: تعايش أم إضطهاد, مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية, العدد2, سبتمبر 2021, ص27.
[3] مجهول, مصدر سابق, ص ص 62_ 63.
[4] صديقي عبد الجبار, المرجع السابق, ص28.
[5] عبد الله عنان, دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس, القسم الأول, ط2, مكتبة الخانجي, القاهرة, 1990, ص ص 222_223.

لكن في حين عومل النصارى في عهد المرابطين خاصة عهد الأمير علي بن يوسف وفقا لتعاليم كتاب الله وسنته, ولم يكن المرابطون بتلك الغلظة التي وصفها بها خصومه[1] فصاحب الحلل الموشية يقول:" أقامت بلاد الأندلس في عهد علي بن يوسف في مدته سعيدة حميدة في رفاهية عيش وعلى أحسن حال... وقد كان الجهاد إنقطع بها منذ تسع وسبعين سنة من مدة آل عامر إلى حين دخوله إليها. قدما أشياخ المرابطين فيها وكانوا أقواما ربتهم الصحراء نيتهم صالحة لم تفسدها الحضارة ولا مخالطة الآسافل"[2] وحتى صاحب روض القرطاس يقول:" كانت لمتونة أهل الديانة ونية صادقة خالصة وصحة مذهب. ملكوا بالأندلس من بلاد الفرنج إلى البحر الغربي المحيط. ومن مدينة بجاية من بلاد العدوة إلى جبال الذهب من بلاد الأندلس. لم يجر في عملهم طول أيامهم رسم مكروه. معونة ولا خراج في بادية ولا في حاضرة. وخطب لهم على أزيد من 2000 منبر وكانت أيامهم رفاهية ورخاء متصل وعافية وأمن... كان ذلك مصطحبا بطول أيامهم. ولم يكن في بلد من أعمالهم خراج ولا معونة ولا تقسيط ولا وظيف من الوظائف المخزية. حاشا الزكاة والعشر وكثرة الخيرات في دولتهم ولم يكن في أيامهم نفاق ولا قطاع الطريق"[3] ويشير إبن عذارى في كتابه البيان: أنهم كانوا (النصارى) في مراكش وقد سكنوا في أحياء خاصة بهم بحيث خصص لهم حي بكل مرافقه من حانات وأسواق لبيع الخمور ولحم الخنزير[4] ويذكر الوليد الطرطوشي أن ابن الحصار وهو فقيه مسلم كان له جار نصراني كان يساعده في قضاء حوائجه[5] وقد سمح للنصارى بالعمل في جميع المهن مع الحصول على حقوقهم فكان منهم جنود وتجار وحرفيين وأطباء. فحسب ابن الزيات حتى النساء المسلمات زرن الأطباء النصارى[6]. ويظهر تعايش وتسامح المسلمين مع النصارى أكثر في المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية والدينية وخاصة العسكرية.

1_ أسرى الحرب والعبيد النصارى: فقد شكلوا جزء هام من المجتمع النصراني في المغرب الإسلامي فقد تم أسر عشرين ألف نصراني خلال معركة الزلاقة 479ه_1086م

[1] إيمان عبد الرحمان حسن العثمان, التعايش السلمي للمسلمين مع أهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر علي بن يوسف (500_537ه/1106_1142م), مجلة كلية العلوم الإنسانية, المجلد8, العدد2, 2014, ص4.
[2] مجهول, المصدر السابق, ص59.
[3] بن أبي زرع الفاسي, المصدر السابق, ص108.
[4] ابن عذارى المراكشي, ج4, المصدر السابق, ص78.
[5] الوليد الطرطوشي, سراج الملوك, المكتبة الشاملة, مصر, 1872, ص156.
[6] التادلي ابن الزيات, التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي, تح: أحمد توفيق, ط2, مطبعة النجاح الجديدة, الرباط, 1997, ص322.

واحضارهم إلى المغرب[1], في حين تم جلب عدد كبير من طرف المرابطين بعد عودة تاشفين بن علي من الأندلس سنة 531ه_1137م, حيث أحضر معه قرابة ستة ألاف أمة نصرانية[2] فاعتنق الكثير منهم الإسلام وعلى الرغم من أنهم مجرد عبيد إلا أنهم شاركوا في الحياة الإجتماعية. وكانت من بين هؤلاء الأسرى قمر أم علي بن يوسف[3]. ويبين ابن بشكوال أن بعض المسحيين خدموا في بيوت المسلمين[4] وتمكن البعض منهم من تحرير أنفسهم من خلال مواردهم المالية الخاصة[5]. فقد سمح للعبيد النصارى بالحصول على حريتهم مقابل دفع مبلغ من المال لأسيادهم المسلمين على اعتبار أن أصحابهم دفعوا المال مقابل الحصول عليهم[6]. وعدد آخر من النصارى حصلوا على حريتهم دون دفع أي شيء من المال حتى أن بعضهم ورثوا ثروة من أسيادهم الأثرياء المسلمين[7].

2_ المرتزقة والجنود النصرانيين في الجيش المرابطي: تواجد النصارى في المغرب الإسلامي في عهد المرابطين بشكل أساسي من الجنود[8] والمرتزقة[9]. وأول من وظفهم كمرتزقة في المغرب الإسلامي هو يوسف بن تاشفين وابنه علي أول من استخدمهم في جباية الضرائب[10] وقيادة الجيش فزاد عددهم بحلول سنة 537ه/ 1143م ليبلغ 4000 ويذكر صاحب الحلل الموشية أن ألاف الجنود النصارى كانوا يرافقون تاشفين بن علي في حملاته العسكرية سواء في المغرب أو الأندلس[11] مقابل دفع لهم رواتب.

---

[1] ابراهيم القادري بوتشيش, المرجع السابق, ص73.
[2] بن أبي زرع, المصدر السابق, ص164.
[3] ابن عذارى, ج3, المصدر السابق, ص97.
[4] ابن بشكوال أبو القاسم, الصلة في تاريخ أئمة الأندلس, تح: إبراهيم الأبياري, ط1, دار الكتاب اللبناني, بيروت, 1989, ص240.
[5] الونشريسي, ج2, المصدر السابق, ص179.
[6] الجزيري أبي القاسم علي بن يحي بن القاسم, المصدر السابق, ص367.
[7] بوتشيش, المصدر السابق, ص58.
[8] صديقي عبد الجبار, المرجع السابق, ص33.
[9] المرتزقة: كلمة مصدرها رزق والرزقة بالفتح جمعها رزقات وهي أطماع الجند وارتزق الجند: أخذوا أرزاقهم فالمرتزقة هم أصحاب الرواتب الموظفة فالمرتزق هو من يحارب في جيش لا يتبع دولته طمعا في المكافأة المادية. ينظر: ابن المنظور, المصدر السابق, ص1637. مرتضى الزبيدي, تاج العروس من جواهر القاموس, تح: مصطفى حجازي, ج25, مطبعة حكومة الكويت, 1989, ص342. بومدين هشام, المرجع السابق, ص84.
[10] الجباية: هي فريضة مالية يدفعها الفرد جبرا إلى الدولة بصورة نهائية مساهمة منه في التكاليف والأعباء العامة دون أن يعود عليه نفع خاص مقابل دفع الضريبة. ينظر: عجيلة محمد وبن نوري مصطفى, الجباية المحلية بين المركزية واللامركزية ودورها في تمويل التنمية الإقتصادية المحلية, مجلة دراسات جبائية, العدد1, ديسمبر 2012, ص99.
[11] مجهول, المصدر السابق, ص ص 131_130.

ويذكر الناصري طريقة وصولهم إلى الجيش المرابطي أنهم كانوا أسرى[1] الهجمات العسكرية المرابطية على الممالك النصرانية الإسبانية[2].

3_ المهجرون: تم ترحيل النصارى من الأندلس إلى المغرب الإسلامي في عهد علي بن يوسف كما تسمى بظاهرة التغريب[3] فهذا ساهم في استقرارهم أما عن سنة جلائهم

فالمصادر اختلفت ابن الخطيب و ابن عذارى يذكر أنه كان سنة 518ه/1125م[4] ومؤلف مجهول يرى أنه كان ذلك سنة 520ه/1126م[5]. فسار ابن رشد الجد على الفور إلى

مراكش لاقناع علي بن تاشفين بإجلاء النصارى[6] وسبب تهجيرهم هو تآمرهم مع ألفوانسو[7] واعتبر تعاونهم مع ألفوانسو خرقا لمعاهدة غرناطة مما يجعل وضعهم كأهل ذمة باطل[8].

أماكن استقرارهم: معظم النصارى المهجرين إلى بلاد المغرب الإسلامي استقروا بمراكش بحيث تم تجنيد الحاميات المسيحية في الحرس الملكي وكان العدد الإجمالي للجنود النصارى في مراكش حوالي 4000[9]. كما أنهم تواجدوا بمكناس بحيث ضمت حوالي 3000[10]. أما سلا تواجد بها نفر قليل[11] وفاس أيضا تواجد بها بعض المجموعات[12], وتواجدت تجمعات نصرانية أخرى في جميع أنحاء المغرب الإسلامي[13] وفي الأندلس

[1] أسير: أسر, يأسره, أسرا, شده بالإسار. والإسار القيد الذي يؤسر به ومنه الحبل الذي يشد به الكتف ومنه سمي الأسير فكانوا يشدونه بالقيد فسمي كل أخيذ أسير وإن لم يشد به, فالأسير هو الأخيذ والمقيد والمسجون, فالأسرى هم المقاتلون من الكفار إذا ظفر المسلمون بهم أحياء. ينظر: ابن المنظور, المصدر السابق, ص20. الفيروز أبادي, المصدر السابق, ص6.

[2] الناصري, ج2, المصدر السابق, ص69.

[3] بومدين هشام, المرجع السابق, ص87.

[4] ابن الخطيب, المصدر السابق, ص183. ابن عذارى, المصدر السابق, ص72.

[5] مجهول, المصدر سابق, ص99.

[6] ابن عذارى, المصدر السابق, ج3, ص59.

[7] ألفوانسوا الأول: ملك أرغون الملقب بالمحارب حكم أرغون ونبرة ثم استولى على سرقسطة من المسلمين واتخذها عاصمة له سنة 512ه/1118م وقد عرف بنشاطه الحربي ضد المسلمين خاصة الحملة التي كانت سنتي 519و 520ه/ 1125و 1126م ومن خلالها استطاع الوصول إلى السواحل الجنوبية الشرقية من الأندلس. ينظر: ابن القطان المراكشي, نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان, تح: محمود علي مكي, ط2, دار الغرب الإسلامي, ص152.

[8] صديقي عبد الجبار, المرجع السابق, ص32.

[9] مجهول, المصدر السابق, ص99.

[10] ابن عذارى, ج3, المصدر السابق, ص24.

[11] ابن عذارى, المصدر نفسه, ص90

[12] ليون الإفريقي, وصف إفريقيا, ج1, تر: محمد حجي ومحمد الأخضر, ط2, دار الغرب الإسلامي, بيروت, 1983, ص133.

[13] مجهول, المصدر السابق, ص84.

فاستقر معظمهم بغرناطة وإشبيلية وبلنسية والبيرة وطركونة ومالقة والبعض استوطن في البوادي لزراعة الأرض عارفين بالجباية المفروضة عليهم[1] فإبن حوقل يشير إلى

النصارى المقيمين في البوادي فيقول عنهم:" وبالأندلس غير ضيعة فيها الألوف من الناس لم تمدن وهم على دين النصرانية روم"[2].

المبحث الأول: سياسيا_ عسكريا

سياسيا: شغل النصارى دور إداري هام في الدولة المرابطية, مقابل حصولهم على الأمن من الدولة. فتولوا مناصب مؤثرة وهامة في جميع المستويات[3]

ومهمة تحصيل الضرائب[4]. وهذا ما يعكس نفوذهم وقوتهم داخل القصر الملكي[5]. ويتجلى في الدور الذي لعبته الجواري النصرانيات.كزوجة علي بن يوسف النصرانية في تأمين الخلافة لإبنها[6].

ومن الأمور التي قام بها الحرس النصراني في البلاط المرابطي هو المساهمة في تقديم البيعة لكل أمير جديد. كما ان النساء الروميات أصبحن يتدخلن في اختيار ولي العهد وهو ما يؤكد دورهن الكبير في القصر[7].

وكان تكليفهم بوظيفة جباية الضرائب قرار له مبرراته من طرف المرابطين من أجل ضمان تحصيل الضرائب بشكل صحيح حيث هم لاحظوا أن المسلمين يميلون إلى أن يكونوا أكثر تساهلا مع إخوانهم, وقد اعتاد النصارى الذهاب إلى المدن والقرى والقبائل مرة في السنة لتحصيل الضرائب[8]. وليس من الواضح ما إذا كانت جباية الضرائب تتم من قبل الجنود أو من طرف الموظفين النصارى لكن النويري يذكر أنهم كانوا جنود[9] .

---

[1] ابراهيم القادري بوتشيش, المرجع السابق, ص72.
[2] ابن حوقل, صورة الأرض, بيروت, دار مكتبة الحياة, 1979, ص106.
[3] عز الدين أحمد موسى, دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي, ط1, دار الشروق, بيروت, 1983, ص110.
[4] مجهول, المصدر السابق, ص84.
[5] خوسي اليماني, الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة, تر: أحمد مدينة, مجلة دعوة الحق, وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية, العدد 187, 2013, ص5.
[6] ابن عذارى, ج3, المصدر السابق, ص97.
[7] عز الدين أحمد موسى, المرجع السابق, ص 95, 96. وابن عذارى, ج2, المصدر السابق, ص135.
[8] مجهول, المصدر السابق, ص85.
[9] النويري شهاب الدين أحمد, نهاية الأرب في فنون الأدب, تح: عبد المجيد ترحيني, ج24, دار الكتب العلمية, بيروت, ص282.

وأيضا شاركوا في خنق الثروات في المغرب الأقصى خاصة, إذ أن المصادر لم تسجل أي ثورة من قبل الرعاية وذلك بسبب قوة الجهاز العسكري فكان أداة لقمع كل تمرد[1] وهذا ما يفسر قول ابن عذارى إن علي بن يوسف هو" أول من استعمل الروم وأركبهم في المغرب وجعلهم يحقدون على المسلمين في مغاراتهم"[2]

ولم يكن النصارى لينعموا بمثل هذه الحريات والإمتيازات وما كانوا ليندمجوا في المجتمع الإسلامي لولا مساعدة علي بن يوسف الجند والاهتمام بهم وتركهم يستقرون في القصور وهذا هو السبب الرئيسي الذي جعل النصارى مخلصين له[3].

ولا شك أن الأندلسيين مسلمون ونصارى كانت لهم مكانة عند الأمير علي بن يوسف, فقد ساهموا بقسط كبير في الإصلاحات الإدارية التي نهضت بها دولة المرابطين[4]

لكن ومع ذلك تمكن بعض النصارى من استغلال الفتن والإنقسامات التي ظهرت السنين الأخيرة من الحكم المرابطي فأسسوا إمارات مستقلة وفي هذا الصدد يقول ابن الأبار: أن ابن همشك رومي الأصل ملك في الفتنة جيان وسقورة وكثيرا من أعمال غرب الأندلس[5].

فقد ترك المرابطون النظام الإداري السابق المتمثل في نظام "القماسة" الذي كان يتولى ادارته زعيمهم[6] وتقوم الجماعات النصرانية بإنتخاب هذا الأخير ليكون مسؤولا عن كل ما يتصل بأمور النصارى فكان اسم أحد القومسات في الحقبة المرابطية هو ابن القلاس[7].

أما في القضاء فكان للنصارى قضاء خاص لم تكن الدولة تتدخل في شؤونه إذا خصصت لهم قاضي ينظر في أحوالهم يعرف بقاضي النصارى أما القضايا التي يكون طرفا النزاع مسلم ونصراني فيصل فيها قاضي مسلم وذلك لتطبيق الشريعة[8].

عسكريا: كانت مشاركة النصارى في جيش المرابطين أكثر وضوحا من مشاركتهم في إدارة الدولة فمعظم المزايا التي تحصلوا عليها من المرابطين كانت مقابل خدماتهم

[1] ابراهيم القادري بوتشيش, المرجع السابق, ص89.
[2] ابن عذارى, ج4, المصدر السابق, ص102.
[3] صديقي عبد الجبار, المرجع السابق, ص36.
[4] ايمان عبد الرحمان حسن العثمان, المرجع السابق, ص5.
[5] ابن الأبار, المقتضب من كتاب تحفة القادم, تح: ابراهيم الأبياري, مجلد 17, ط3, دار الكتاب المصري, دار الكتاب اللبناني, القاهرة, بيروت, 1989, ص130.
[6] ابن الخطيب, الإحاطة, المصدر السابق, ج1, ص103.
[7] ابن عذارى, المصدر السابق, ص91.
[8] بوتشيش, المرجع السابق, ص66.

العسكرية[1]. فكان استعمالهم في الجيش المرابطي منذ عهد يوسف بن تاشفين الذي اشترى منهم ما يقارب 240[2] واستمروا في استقدامهم في عهد علي بن يوسف[3] ثم ابنه تاشفين الذي صحب معه من الممالك النصرانية زهاء أربعة ألاف نصراني[4] وذلك لبناء جهاز عسكري قوي قادر على إنجاز المشروعات التوسعية[5].

فقد قسم يوسف ابن تاشفين مؤسس الجيش المرابطي جيشه إلى عدة فئات وفرق منهم فرقة خاصة بحرسه متكونة من النصارى أو جند الروم كما يسميهم المؤرخون المسلمون معظمهم من المعاهدين الذين إعتنقوا الإسلام من الذين اشتراهم ما يفسر بأنهم لم يكونوا أحرار دخلوا في خدمته وكان فيهم نسوة اتخذن إماءا وسراري وصرن أمهات ولد.

فيوسف بن تاشفين اتخذ احداهن وأنجبت له ولده علي[6] وهذا ما يذكره إبن زرع الفاسي في كتابه القرطاس " كنيته أبو الحسن أمه أم ولد رومية إسمها قمر وتكنى أم الحسن"[7].

وقد نمت هذه الفرقة في عهد ولد علي, مما دفع بصاحب الحلل الموشية إلى القول بأن هذا الأخير أي علي هو أول من إستخدمهم فيقول وهو:" أول من استعمل الروم بالمغرب وأركبهم وقدمهم على جباية المغارم"[8].

فقد استخدم المرابطون النصارى كحراس ملكي لأول مرة في تاريخ المغرب الإسلامي مما كان له تأثير مباشر على بنية الدولة[9]. فنتج عن استخدامهم في الجيش تغيير فكرة التوازن القبلي داخل قيادات الجند, فبعد أن كانت القيادات من نصيب القبائل المكونة للحلف القبلي الصنهاجي, تغيرت هذه الوضعية ونظرا لما تميزوا به من قدرات قتالية عالية تمكنوا من كبح جماح القبائل الثائرة فقمعوا كل محاولات التمرد لكونهم أقلية موالية للدولة فقط. كما انهم أدخلوا طرقا جديدة في القتال مستوحاة من البيئة الإفرنجية المختلفة عن البيئة الصحراوية[10] كما وضح إبن خلدون هذه الظاهرة بقوله:" فاحتاج الملوك بالمغرب أن

[1] صديقي عبد الجبار, المرجع السابق, ص37.
[2] ابن عذارى, المصدر السابق, ص131.
[3] ابن عذارى, المصدر نفسه, ص132.
[4] مجهول, المصدر السابق, ص131.
[5] ابراهيم بوتشيش, المرجع السابق, ص69.
[6] بومدين هشام, المرجع السابق, ص22.
[7] ابن أبي زرع الفاسي, المرجع السابق, ص157.
[8] مجهول, المصدر السابق, ص149.
[9] مجهول, المصدر نفسه, ص131.
[10] إبراهيم بوتشيش, المرجع السابق, ص70.

يتخذوا جندا من هذه الأمة المتعودة على الزحف وهم الإفرنج[1]" فأدخلوا تقنيات قتالية جديدة وحسنوا من تصنيع الأسلحة والذخيرة واستبدال الإبل بالخيول في المعارك والأسلحة

بالدروع بدلا من الأقواس[2] كما أن سياسة التغريب التي قام بها المرابطون كان لها دور في تولي هذه العناصر لمهام عسكرية بالدرجة الأولى, حيث قام علي بن يوسف بهذه العملية بعد خيانتهم وتحالفهم مع ألفونسو المحارب الأرغوني والسعي لمساعدة على غزو غرناطة فدخل بعضهم في خدمة المرابطين كجند وحرس وجباة ضرائب.

ونظرا لما قدمه هؤلاء النصارى للجيش المرابطي ارتقى عدد منهم إلى رتب عليا وأصبحوا قادة بارزين مثل لاغورديا ريبرتير القائد القشتالي الذي كان من أعظم وأشجع القادة النصرانيين[3] وقاتل مع المرابطين واعتبر موته بمثابة الضربة القاضية للدولة المرابطية.

ولا سبيل لإنكار دورهم في التصدي لخطر الموحدين إذ كاد هؤلاء يعصفوا بهذه الدولة قبل موعد سقوطها لولا إستنجاد تاشفين بن علي بأربعة ألاف من الفرس النصراني, لكن رغم كل ما قاموا به إلا أنه تسببوا في إسقاط المرابطين عندما تآمروا مع عبد المؤمن بن علي الخليفة الموحدي الذي أمنهم على أنفسهم مقابل مساعدته في فتح أحد أبواب مراكش لتسرب جيوش الموحدين[4].

المبحث الثاني:اقتصاديا

أما على الصعيد الإقتصادي, فكانت بعض الجاليات النصرانية التي ترددت على المغرب قد أدت دورا في تنشيط بعض الموانئ التجارية كميناء آنفا[5].

وفي الميدان الزراعي ساهم النصارى المبعدون إلى المغرب الأقصى في تطوير المجال الزراعي حيث دخلوا بلاد المغرب كتجار خاصة مدينة فاس وذلك بفضل خبرتهم العميقة في الزراعة مما أعطى دافعا قويا للإنتاج الزراعي[6].

كما أن تجارة جنوة ومرسيليا بدؤوا منذ سنة 533ه_1138م يتطلعون إلى التجارة مع المغرب ويعقدون اتفاقيات لمنع القرصنة بين الطرفين, وكانت أساطيل جنوة تتوسط بين

[1] ابن خلدون عبد الرحمان, تاريخ ابن خلدون, ج1, دار الفكر للطباعة والنشر, بيروت, 2001, ص274.
[2] صديقي عبد الجبار, المرجع السابق, ص38.
[3] بومدين هشام, المرجع السابق, ص24.
[4] إبراهيم بوتشيش, المرجع السابق, ص72.
[5] صديقي عبد الجبار, المرجع السابق, ص88.
[6] إبراهيم بوتشيش, المرجع السابق, ص75.

بروفانس ودول الغرب المسيحي ومن غير المستبعد قد أقامت بعض الأحياء الخاصة في مدينة سبتة وغيرها من المدن الشمالية المطلة على البحر المتوسط[1] وفي نفس الإطار حصل الجنويون على نفس الحقوق في موانئ أخرى على طول السواحل المغربية[2].

وحفر قنوات صرف مياه في مراكش من طرف الأسرى النصرانيين[3] أما نصارى الأندلس فقد تعاطوا العمل الزراعي بإتقان بدليل أن ألفونسو السادس حصل معه عددا من غرناطة لعمارة أرض طليطلة[4] وعندما تم ترحيلهم إلى المغرب الأقصى اشتغلوا بالزراعة بحكم طبيعة عملهم من قبل والطبيعة الزراعية للمدن التي أقاموا بها كسلا ومكناسة[5].

المبحث الثالث: دينيا اجتماعيا

دينيا: سمح للنصارى بتشييد الكنائس في المناطق التي ينزلون بها كما سمح لهم باقامة شعائرهم الدينية في ميدان التعليم بتدريس الكتب الخاصة بأحكام أهل الذمة[6].

إذ أنه لا توجد روايات كافية حول المؤسسات الدينية للنصارى. فالبكري أشار إلى وجود الطوائف النصرانية في تلمسان منتصف القرن الحادي عشر وذكر أن لديهم كنيسة تعرف باسم كنيسة المعمرة دون أي تفاصيل إضافية[7] والحميري يشير إلى وجود كنيسة في سبتة لكن دون تحديد الفترة إذ كان ذلك خلال عصر المرابطين أو قبله[8]. أما مراكش التي هي عاصمة المرابطين فوضع الكنائس كان غامضا والونشريسي نقل فتوى عن ابن الحاج تسمح للنصارى ببناء الكنائس التي استقروا بها بشرط عدم قرع الأجراس[9]. ويذكر البيذق أنه في عام 550ه/ 1156م أي بعد تسع سنوات من سقوط دولة المرابطين قام عبد المؤمن بغرس بحيرة أمام شنطلولية[10], ومن المرجح أن هذا المصطلح يعبر عن اسم كنيسة قديمة المعروفة باسم القديسة أوليلة فهو تحويل لاسم [11] saint Eulalie, وما يؤكد صحة هذا

---

[1] بوتشيش, المرجع نفسه, ص75.

[2] De mas-latrie, de, Relations et commerce de L'Afrique Septentrionale ou Maghreb avec les nations chrétiennes au Moyen Age. Ed.Librairie FIRMIN-DIDOT et C.,Paris 1886 ,op.cit. p64.

[3] مارمول كربخال, إفريقيا, ج2, تر: عمر حجي وآخرون, دار المعرفة للنشر والتوزيع, الرباط, 1989, ص96.

[4] عز الدين أحمد موسى, المرجع السابق, ص109.

[5] صديقي عبد الجبار, المرجع السابق, ص32.

[6] ايمان عبد الرحمان حسن العثمان, المرجع السابق, ص5.

[7] البكري أبو عبيد الله, المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب, دار الكتاب الإسلامي, القاهرة, 1999, ص79.

[8] الحميري أبو عبد الله محمد, الروض المعطار في خبر الأقطار, تح: احسان عباس, ط2, مطابع دار السراج, بيروت, 1980, ص205.

[9] الونشريسي, المصدر السابق, ج2, ص230.

[10] البيذق أبو بكر علي الصنهاجي, أخبار المهدي بن تومرت, دار المنصور للوراقة والطباعة, الرباط, 1971, ص79.

[11] ابراهيم بوتشيش, المرجع السابق, ص83.

التحويل أن البيذق كان ينطق السين بالشين وتأكيدا لذلك نطقه لمصطلح السنيور بالشنيور[1]. وهو ما يؤكد وجود كنيسة في مراكش عهد المرابطين. ووثيقة نصرانية أخرى هي أخبار الإمبراطورية لأنفونسو الثاني عشر تشير إلى أنه عندما احتل الموحدون مراكش عاد بعض المسيحيين الذين كانوا في صفوف الجيش المرابطي إلى طليطلة مع قساوسة[2] وهو ما تدعمه مصادر عربيه أنه بعد سيطرة الموحدين على مراكش طلب عبد المؤمن من النصارى للتفكير في أحد الخيارات الثلاثة: إما الإسلام أو القتل أو الرجوع إلى اسبانيا[3].

فعلى الرغم من وجود هذه الروايات المهمة لكنها غير كافية لإثبات وجود كنيسة بالمغرب. فمن المحتمل أن يكون الأسقف الذي عاد إلى اسبانيا مع بعض النصارى سنة 541ه/1147م هو ما يكل بن عبد العزيز النصراني الأندلسي الذي كان من بين أهل الذمة

الأندلسيين الذين تم نفيهم إلى المغرب وأقام في فاس وليس مراكش كما يمكن أن تكون شنطلون كنيسة قديمة[4].

كما أن وجود كنيسة في مراكش في عهد المرابطين قد لا يكون صحيح لعدة أسباب هي: يذكر الونشريسي في المعيار أن رجلا مسيحيا في مراكش تظاهر بالإسلام بينما كان يؤمن بالنصرانية اكتشف المسلمون في النهاية غرفة في منزله حيث احتفظ بالصليب ونسخة من الكتاب المقدس وعصا وأشياء أخرى موجودة في الكنيسة[5]. وأيضا الرسالة التي أرسلها علي بن يوسف إلى بن ورد وغيره من فقهاء غرناطة تسألهم عددا من الاسئلة المتعلقة بالنصارى الذين اجبروا على الهجرة إلى مكناس وكان أحد الأسئلة طلب لبناء كنيسة لكن ابن ورد رفض ذلك[6]. والمصادر العربية تذكر أن أول كنيسة بنيت في مراكش كانت في عهد المأمون عهد الموحدين[7].

ومن جهة أخرى عرف المرابطون بتشددهم حيث لم يسمحوا ببناء الكنائس بل وهدموا بعضها في الأندلس إذ يبين ابن الصيرفي مؤرخ المرابطين أن ابن تاشفين أمر بهدم كنيسة البيرة سنة 491ه/1098م بعد فتوى فقهاء المسلمين[8]. كما منع المرابطون المسيحيين في

---

[1] البيذق, المصدر السابق, ص45.
[2] إبراهيم بوتشيش, المرجع السابق, ص85.
[3] يوسف بردي بن عبد الله بن تغري, النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة, ج5, وزارة الثقافة والإرشاد القومي, دار الكتب, مصر, 1963, ص281.
[4] صديقي عبد الجبار, المرجع السابق, ص39.
[5] الونشريسي, المصدر السابق, ج8, ص249.
[6] الونشريسي, المصدر نفسه, ص59.
[7] ابن أبي زرع الفاسي, المصدر السابق, ص250.
[8] الونشريسي, المصدر السابق, ج2, ص246.

إشبيلية من قرع أجراس الكنيسة[1] وابن سهل قاضي المرابطين في غرناطة أجاز هدم الكنائس ومنع بناءها من جديد في بلاد المسلمين[2].

وعلى الرغم من وقوع هذه الأحداث في الأندلس إلى أنها تكشف بوضوح عن موقف المرابطين الذين لم يأخذوا بفتوى ابن الحاج في السماح ببناء الكنائس بسبب الفتوى الأخرى التي تحرم ذلك. ومع ذلك من المحتمل أن بعض النصارى خاصة الذين ينتمون إلى الحرس الملكي سمح لهم بممارسة واجباتهم الدينية في الكنيسة القديمة "شنطلولية" مقابل خدماتهم[3].

فصلابة المرابطين اتجاه بناء الكنائس في بعض الأحيان كانت بسبب الوضع العام للدولة, والحرب المفتوحة مع قشتالة وأخبار انتقام ألفونسو من المسلمين في المدن التي أعاد احتلالها والأخبار الرهيبة عن رودريجو دياز فيفار واستئصالها الوحشي للمسلمين في

بلنسية عام 488ه/1095م[4] وتحويل جميع المساجد إلى كنائس فمن المحتمل أن هذه الأسباب أدت إلى قبول المرابطين بهذه الفتوة وأن تفكيك كنيسة "البيرة" كان بعد سقوط القدس على يد النصارى سنه 491ه/1098م والسبب الرئيسي لتدميرها هو أن الكنيسة كانت تستخدم كمكان للتخطيط ضد دولة المرابطين في الأندلس بمساعدة قشتالة فالمسلمين آنذاك كانوا تحت التهديد النصراني لذلك فحظر بناء الكنائس الجديدة لا يعكس حالة الظلم تجاه النصرانيين في المغرب بل كان ذلك في سياق سياسي وعسكري. لاسيما أن اندماج النصارى في الحياة الاجتماعية والسياسية وفر لهم الحرية والعدالة[5].

اجتماعيا: على صعيد حقوقهم الاجتماعية لا تعوزنا الأدلة في إبراز مدى احترام المرابطين لحقوق النصارى. والضرب على أيدي كل من حاول اللمس بها[6]. فقد ورد عن ابن عذارى أن مجموعة من نصارى غرناطة ذهبت إلى بلاط الأمير علي بن يوسف لتقديم شكوى حول الجور الذي تعرضت له من قبل عامل المدينة عمر بن ينال. فلما ثبت للأمير حجتهم أمر بسجنه وأنصفهم في شكواهم[7]. كما كان لهم قاضي خاص بهم يحل مشاكلهم ونزاعاتهم من

[1] ليفي بروفينسال, ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة والمحتسب, تح: ليفي بروفنسال, مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية, القاهرة, 1955, ص55.
[2] الونشريسي, المصدر السابق, ج2, ص246.
[3] ابراهيم بوتشيش, المرجع السابق, ص85.
[4] ابراهيم بوتشيش, المرجع نفسه, ص87.
[5] صديقي عبد الجبار, المرجع السابق, ص41.
[6] ايمان عبد الرحمان, المرجع السابق,ص8.
[7] ابن عذارى, ج4, المصدر السابق, ص77.

دون تدخل الإدارة المرابطية في شؤونها. وهذا يدل على مدى ما كانت الدولة تتمتع به من روح السماحة[1].

فالنصارى أثروا في العادات والتقاليد الاجتماعية المتعلقة بالاحتفالات العامة, وهذا يعني أن الرعية لم يكونوا حساسين تجاه النصارى بالقدر الذي كان عليه الفقهاء, لذلك انضموا إليهم في احتفالاتهم وعاداتهم كعيد مولد المسيح أو عيد سانت خوان[2].

ويوجد عدد من الشواهد التي تشير بأنه سمح للنصارى بشرب الخمر[3]. واستخدام المرافق العامة على سبيل المثال سمح للنصارى بأخذ المياه المحفوظة في خزانات معهم[4] وأجيز للمسلمين اصطحابهم معهم في صلاة الاستسقاء[5]. كما زودهم المرابطون بمقبرة

خاصة أين يمكنهم ممارسة طقوسهم الجنائزية وفقا لمعتقداتهم الخاصة[6]. حيث كانت إحدى مقابر النصارى في مكناس تعرف باسم "مقبرة الذميين"[7].

ومن أهم مظاهر التسامح الديني بين المسلمين وأهل الذمة زواج الأمراء المرابطين بالنصرانيات وهو ما يسمى بالزواج المختلط[8] وبالرغم من هذه المعاملة الحسنة في التسامح مع النصارى في المغرب والأندلس إلى أنهم لم يفتأوا أن أخذوا يتآمرون على المسلمين وذلك بتعاملهم مع النصارى شمال اسبانيا وأصبحوا عيونا لهم على المسلمين يبذلون لهم أقصى مساعدة يستطيعون تقديمها لهم عند خروجهم في غزوات مخربة في أرض المسلمين وعلى أثرها كانت هناك بوادر السخط على المعاهدين والتوجس من مكائدهم واتضح ذلك في غزوة ألفونسو المحارب للأندلس[9] حيث اخترق هذه الأخيرة من شمالها إلى جنوبها ووصل إلى ساحل البحر المتوسط وقد أيده النصارى بعدة ألاف من خيرة مقاتليهم واخفق المرابطون في التصدي لهم[10] واقتبس هؤلاء من مسلمي الأندلس الكثير من المظاهر في عصر الطوائف خاصة أن المجتمع المرابطي بعد عهد يوسف بن تاشفين ظهرت فيه نماذج متفرقة في هذا المجال فقد قلد بعض ملوك الأسبان في فترة المرابطين طريقة المسلمين في

[1] ايمان عبد الرحمان, المرجع السابق,ص8.
[2] صديقي عبد الجبار, المرجع السابق,ص27.
[3] إبراهيم بوتشيش, المرجع السابق, ص75.
[4] ابن رشد , فتاوى ابن رشد, تح: المختار بن الطاهر التليلي, ج1, دار الغرب الإسلامي, بيروت, 1987, ص605.
[5] إبراهيم بوتشيش, المرجع السابق, ص75.
[6] البرزلي أبو قاسم بن أحمد البلوي التونسي, جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا بالمفتين والحكام , تح: محمد الحبيب الهيلة, ج1, دار الغرب الإسلامي, بيروت, 2002, ص506.
[7] إبراهيم بوتشيش, المرجع السابق, ص75.
[8] ايمان عبد الرحمان, المرجع السابق, ص6.
[9] ايمان عبد الرحمان, المرجع نفسه, ص7.
[10] مجهول, الإستبصار في عجائب الأمصار, تح: سعد زغلول عبد الحميد, بغداد, 1986, ص216.

ارتداء الملابس وفي استخدام الفرش المستعملة في أماكن الجلوس[1]. وما ميز الممالك النصرانية من صورة قاتمة وانعدام الشعور بالإنسانية شكل نقطة سوداء أحرجت الكثير من الكتاب الغربيين حيث فرض ألفونسو السادس على المزارعين المسلمين العديد من أنواع الجزية والضرائب إضافة إلى الحكم على أسرى المسلمين باعتناق المسيحية وإلا ضمهم إلى صفوف الرقيق والعبيد في غالبية الأحيان وتكليفهم بالأشغال الشاقة بسبب المعارك المستمرة. وبذلك يمكن القول أن التسامح والتعايش السلمي ظهر في الدولة المرابطية والدليل على ذلك ما أقرت به بعض الكتابات الأجنبية المنصفة, بوصفها علي بن يوسف "بصديق النصارى"[2].

[1] ايمان عبد الرحمان, المرجع السابق, ص7.
[2] ابراهيم بوتشيش, المرجع السابق, ص77.

لقد سكن النصارى في عهد المرابطين فكان عصر انفتاح عليهم وتزايد عددهم ودورهم بشكل ملحوظ مقارنه بالعصور السابقة فأنصف حكام هذه الدولة بروح التسامح والمساوات لذلك أعطوهم كاملة حقوقهم التي أقرتها لهم الشريعة الإسلامية ونتج عن ذلك نشاط في شتى المجالات ومختلفها شملت السلطة فقد كلفوا بمهمة جباية الضرائب وقمع كل التمردات وبنية المجتمع بمشاركه المسلمين حتى في احتفالاتهم وتوفير حاجياتهم الممنوعة كالخمر والنشاط الاقتصادي فقد طوروا من الزراعة بالمغرب والأندلس ولاسيما في الدور العسكري المتمثل في حرص البلاط الملكي والجيش فقد استقروا في مختلف حواضر المغرب الإسلامي خاصة مراكش بالمغرب وغرناطة بالأندلس رغم ذلك تتوجه أغلب دراسات المستشرقين على اعتبار عصر المرابطين عصر اضطهاد وتضييق على النصارى وذلك بعد ظاهره التهجير ومنعهم من إقامة كنائس لهم كل ذلك كان له أسباب وأعذار تمنع ذلك كخطر على الوجود الإسلامي في الأندلس وعلى الرغم من النظرة في البحث عن نصارى الغرب الإسلامي إلى أن الفضل في وجودهم بالمغرب يعود للمرابطين وتمتعهم بكامل الحرية

الفصل الثالث

الفصل الثالث: النصارى في العهد الموحدي

المبحث الأول: سياسيا- عسكريا.

المبحث الثاني: اقتصاديا.

المبحث الثالث: دينيا- اجتماعيا

تواجد النصارى داخل المجتمع الموحدي كباقي الفئات الأخرى المتواجدة فيه. وعوملوا بمعاملة حسنة مما سمح لهم بالتمتع بكامل حرياتهم, حيث تمركزوا في أهم المدن الموحدية. فلما دخل الخليفة عبد المؤمن المهدية وجد بها النصارى فطلبوا منه الأمان في أنفسهم وأموالهم والسماح لهم بالخروج منها, لكن الخليفة الموحدي أراد أن يعرض عليهم الإسلام إلى أنهم فضلوا الرحيل على الدخول في الإسلام[1] فقالوا:" ما جئنا لهذا وإنما جئنا نطلب فضلك, وترددوا إليه أياما وقالوا ما عسى المهدية وما فيها الإفرنج بالنسبة إلى ملكك العظيم وأمرك الكبير, وإن أنعمت علينا كنا أرقائك في بلادنا"[2] لذلك جهز لهم الخليفة سفن ليخرجوا بهم إلى صقلية وسمح لهم بمغادره المدينة[3] وأيضا عوملوا النصارى بمثل ما عوملوا به في المهدية عندما حل عبد المؤمن بسفاقس[4] التي كانت موطنا لهم[5].

ومن المدن التي تمركز فيها النصارى أيضا مراكش حيث عرض عليهم عبد المؤمن الخليفة الإسلام وقال لهم:" إن الإمام المهدي أمرني أن لا أقر الناس إلا على ملة واحدة وهي الإسلام"[6] رغم أن ابن تومرت فرض مذهب التوحيد على أتباعه وهذا المذهب مزيج من الأفكار من عدة فرق ومذاهب منها الفكر الأشعري[7] وحتى في إفريقية كان هناك عدد من النصارى حيث يقول مارمول:" عندما دخل عبد المؤمن بن علي إفريقية وجد بها النصارى, وقد دان معظمهم طوعا له"[8] وأيضا كما ذكر النويري عن عبد المؤمن أثناء فتحه لمدينه إفريقية حيث "عرض الإسلام على من بها من نصارى ويهود من اسلم سلم ومن أبى قتل"[9] وقوله لهم "ولا لنا حاجة لجزيتكم فأما الإسلام أو القتل"[10]. لكن مع عدم تعميم هذا سواء بالمغرب أو باقي المناطق التي كانت تحت سلطة الموحدين فنصارى

[1] الناصري, المصدر السابق, ج5, ص123. ابن كردبوس, الاكتفاء في أخبار الخلفاء, تح: صلاح بن عبد الله الغامدي, ج1, ط1, مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر, المدينة المنورة, 1429, ص38.
[2] التجاني محمد عبد الله بن محمد, رحلة التجاني, تقديم: حسن حسني عبد الوهاب, دار العربية للكتاب, ليبيا, تونس, 1981, ص349.
[3] مجهول, الاستبصار, المصدر السابق, ص154.
[4] سفاقس: مدينة من نواحي إفريقية وقيل إن جل غلاتها الزيتون وهي على ضفة الساحل بينها وبين المهدية ثلاثة أيام, وبينها وبين سوسة يومان, وبينها وبين قابس ثلاثة أيام. ينظر: ياقوت الحموي, المصدر السابق, ج3, ص223.
[5] التيجاني, المصدر السابق, ص75.
[6] ابن تغري بردي, المصدر السابق, ج5, ص273.
[7] طاهر بوناني, التصوف خلال القرنين 6 و 7 هجريين 12 و13 ملاديين: نشأته تياراته دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي, دار الهدى للطباعة والنشر, عين مليلة, 2004, ص89.
[8] مارمول كربخال, المرجع السابق, ص388.
[9] النويري أحمد, تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط, تح: مصطفى أبو ضيف, دار النشر المغربية, الدار البيضاء, ص423.
[10] التيجاني, المصدر السابق, ص374.

إفريقية كانوا من أهل البلد بدليل بقائهم بعد دخول عبد المؤمن المدينة ملازمين منازلهم ممتهنين لحرفهم داخل وخارج مدينه المهدية[1].

فقد كانت هناك دوافع عديدة للحذر والتوجس من النصارى خاصة في بداية الدولة منها مواقفهم مع المرابطين في أواخر عهدهم دلت على أنهم عناصر غير مأمونة والتجسس على المسلمين لحساب ملوك النصارى واحتلال قلعة رباح سنة 541ه/ 1146م وكذلك ميناء ألميرية سنه 542ه/ 1147م قبل تمكن الموحدين من فتح بلاد الأندلس[2] كما كان هناك توتر العلاقة بين المسلمين والنصارى على مستوى العالم الإسلامي. ففي القرنين 5_6ه/ 11_12م بدأت البوادر الأولى للحروب الصليبية بين المسلمين والمسيحيين في المشرق الإسلامي. وأصبحت أجواء العداء بين الطرفين تتزايد, ولابد أن أصداء ذلك قد بلغ المغرب الإسلامي لذلك كان هناك تبادل الحيطة والحذر بين الجانبين فهذا لا يعني اضطهاد المسلمين للنصارى[3].

أما في أواخر خلفاء الدولة الموحدية تمتع النصارى بحرية أكثر مما كانت عليه في عهد الخلفاء الأوائل وتسامح ديني لم يعهدوه من قبل خاصة منذ عهد الخليفة إدريس المأمون (624_630 ه/ 1227_1232م) وازداد نفوذهم أكثر في المغرب على عهد الخليفة الرشيد[4] ودليل ذلك أنه في مدينة فاس وجدت منطقه خاصة لسكانهم[5].

ورغم هذا مثل النصارى في كنف الدولة الموحدية دور بارز, إذ ساهموا بقصد أو بدون قصد في خدمة الموحدين خاصة في الجانب العسكري.

المبحث الأول: سياسيا عسكريا

عسكريا: بعد انهيار دولة المرابطين التي كانت تضم في صفوفها العديد من جند النصارى[6]. وكان من أبرزهم القائد الروبرتير[7]. الذي كان في زمن الأمير المرابطي علي

[1] Jean pierre Mlenat ,<< sur le rôle des almohdes dans la fin du christianisme local ou Maghreb et en Al_Andalus >> Revue Al QANTAR, T,1053 , 1997, p394.

[2] علي عبد الله علام, الدولة الموحدية بالمغرب, ص240.

[3] لبنى الورطيطي, أهل الذمة بين التنظير والواقع خلال العصر الموحدي, مجلة التراث, المجلد الأول, العدد1, ص27.

[4] بن أبي زرع, المصدر السابق, ص329.

[5] إبراهيم حركات, المغرب عبر التاريخ, ج2, ص96.

[6] حسن علي حسن, الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين, ط1, مكتبة الخانجي, مصر, 1970, ص372.

[7] الروبرتير: قائد نصراني من قواد برشلونة, وقع في أسر علي بن ميمون قائد الأسطول المرابطي وخلص لخدمة الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين إلا أنه قتل على أيدي الموحدين وخلف ابنا له اسمه علي الذي انضم إلى الجيش الموحدي وأصبح من خيرة قواده. ينظر: البيذق, المصدر السابق, ص41.

بن يوسف بن تاشفين[1]. انضم عدد من الجند للجيش الموحدي وزادوا عليهم وذلك لخبرتهم العسكرية حيث كانوا محاربين ومدربين على فنون القتال في بلادهم[2]. وقد استعمل عبد المؤمن بن علي في جيشه طائفة من جند النصارى أثناء حروبه[3] واستعان بهم في إخماد أخطر ثورة في عهده وهي ثوره محمد بن عبد الله ابن هود الماسي[4].

وبعدها توافدت أعداد كثيرة من النصارى إلى بلاد المغرب في عهد الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن سنة (558_580ه/1162_1184م) حيث أمر هذا الخليفة بضم الفارس النصراني جيرالدو سميافو[5] ومعه مجموعة من الفرسان النصارى. وقد أمر بنقلهم إلى مراكش العاصمة سنة 569ه/1177م وتم تعيينه قائدا للنصارى المرتزقة العاملين بالجيش الموحدي[6] واقترنت أول إشارة لظهور كتائب عسكرية من البلدان النصرانية في الجيش الموحدي بعهد الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور (580_595ه/ 1184_1199م) وشيد لهم قصورا أسكن فيها الكثير من جند الروم واستعملهم كحرس خاص[7], أما في عهد الخليفة المستنصر 610_620ه/1123_1213م الذي كان عصر بداية الأزمة الموحدية بعد معركة العقاب (609ه/1212م) فتزايدت الكتائب العسكرية النصرانية وكانت مكونة من مجموعتين الأولى تحت قيادة أمير برتغالي بمراكش والثانية في مدينة مكناس تحت إمرة قائد قشتالي اعتنق الإسلام كونسالفو[8] ويعرف أيضا باسم ابن أخت ألفونسو[9].

---

[1] علي قنبر إلياس, بنو ميمون قادة الأسطول المرابطي والموحدي (508_599ه/1115_1202م), مجلة أبحاث التربية الأساسية, العدد2, كلية التربية, جامعة الموصل, 2010, ج1, ص246.

[2] عبد الواحد المراكشي, وثائق المرابطين والموحدين, تح: حسين مؤنس, ط1, مكتبة الثقافة الدينية, 1997, ص233.

[3] محمد عبد المنعم محمد حسن, مدينة سلا في العصر الإسلامي: دراسة في التاريخ السياسي والحضاري, مؤسسة شباب الجامعة, الإسكندرية, 1993, ص20.

[4] ابن عذارى, المصدر السابق, ج3, ص31.

[5] جيرالدو سمبافور Geraldo Sempavor: وتعني كلمة سمبافور بالبرتغالية دون خوف دون هيبة, أي الذي لا يخاف ويهاب ويرهب وهو مرتزق ومغامر وقاطع طريق برتغالي أو جيليقي, كان يقود عصابة من قطاع الطرق يغير بها على الحصون والمدن والقوافل وقد قدم خدماته في بادئ الأمر لابن مردنيش بوادي آش وهي مدينة بالأندلس ثم انتقل لخدمة ابن الرنك ملك البرتغال ودخل بعدها في خدمة الموحدين هو ورجاله بعد أن تقطعت به السبل فاستسلم لهم في إشبيلية فقبلت فيئته ونقل إلى مراكش, لكنه لم يخلص العمل حيث اتصل سرا بملك البرتغال وتآمر على الموحدين إلى أن وقعت بعض رسائله السرية في أيديهم فأمر الخليفة أبو يعقوب يوسف بقتله هو ورجاله وتم ذلك فورا. ينظر: هشام أبو رميلة, المرجع السابق, ص269.

[6] البيذق, المصدر السابق, ص167.

[7] مختار أحمد عفيفي, دور نصارى المغرب الأقصى في الحياة السياسية والعسكرية في عصر الموحدين (541_668ه/1146_1269م), مجلة الدراسات الإفريقية, العدد3, 2022, ص315.

[8] كونسالفو: شخصية من أسرة ملكية اسبانية, وقد اعتنق الإسلام وعرف باسم أبي زكريا يحي, كما يعرف أيضا باسم "ابن أخت ألفونسو" من أعماله تشييد حمام عظيم البناء بمكناس وقد عين قائدا لفرسان الدولة الذين يحولون دون حصول حوادث السلب التي يقترفها البدو والرحل. ينظر: رضوان البارودي, أضواء على المسيحية والمسيحيين في المغرب في العصر الإسلامي, دار الفكر العربي, القاهرة, 1990, ص120.

[9] إبراهيم بوتشيش, تاريخ الغرب الإسلامي, المرجع السابق, ص90.

وفي عهد الخليفة المأمون 624_630ه/1227_1232م تكررت الأزمات وأصبح عهده مضطرب سياسيا نتيجة الصراع بين الأمراء الموحدين على السلطة كصراع الخليفة المأمون 624_630ه/1227_1232م وابن أخيه يحي بن الناصر فكما هو معروف أن المأمون بويع بالخلافة في اشبيلية بالأندلس في حين بويع ليحي بن الناصر بالخلافة في مراكش في نفس العام. فدب النزاع بينهما, مما جعل الخليفة المأمون يطلب المساعدة العسكرية من فرناندو الثالث ملك قشتالة. وقد أمده فرناندو بقوة عسكرية من النصارى وقد اختلفت الروايات في عدد هؤلاء الجند النصارى. حيث حصارهم ابن عذارى[1] بخمسمائة فارس بينما بن أبي زرع[2] وخالد السلاوي[3] ذكروهم باثني عشر ألف فارس, ويذكر عبدالله عنان أن المأمون الموحدي لم يريد العودة إلى مراكش دون قوة عسكرية تكفل له النجاح على خصمه لذلك اتفق عبدالله عنان مع قول ابن عذارى الذي قال مشيرا إلى عزم المأمون على الجواز إلى العدوة :"فحشد الحشود ورمم الجنود وجمع نحو خمسمائة فارس من الروم"[4]. أما ابن الخطيب اكتفى بوصف هذه القوة التي أمد بها ملك قشتالة الخليفة المأمون بأنها "جمع من الفرسان الروم"[5]. كما أن هوبكنز لم يتعرض إلى عدد هذه الفرقة النصرانية في قوله :"...في الواقع يواجه المأمون صعوبات حينما عبر بحر الزقاق للاستيلاء على عاصمته, فلا عجب إذن أن يكون قد اصطحب معه إلى المغرب فرقة من النصارى زوده بها فعلا فرناندو الثالث".[6]

وبعد وفاة الخليفة المأمون بن المنصور بويع بالخلافة ابنه عبد الواحد الملقب بالرشيد سنة 630ه/1232م ومن الذين اتخذوا له البيعة: كانون بن جرمون السفياني وشعيب بن أوقاريط الهسكوري وفرنسيل قائد جيش الروم. فقد استدعت زوجة المأمون وأم الرشيد هؤلاء النفر الثلاثة[7] الذين كانوا أعمدة جيش المأمون. فكان الدافع العسكري وراء حرص الخليفة الرشيد على بقاء الجند النصارى بالجيش الموحدي وزاد الاعتماد عليهم في الجيش الموحدي[8].

وبعد تولي السعيد بن مأمون الحكم الملقب بالمعتضد والسعيد الذي بويع بعد وفاة أخيه الرشيد بن المأمون سنة 640ه/1242م لكن أشياخ الموحدين والسادة من بني عبد المؤمن

[1] ابن عذارى, المصدر السابق, ج4, ص284.
[2] ابن أبي زرع, المصدر السابق, ص167.
[3] الناصري, المصدر السابق, ج1, ص199.
[4] عنان محمد عبد الله, دولة الإسلام في الأندلس قسم الموحدين, ج5, مكتبة الخانجي, القاهرة, 1997, ص269.
[5] ابن الخطيب, الإحاطة في أخبار غرناطة, المصدر السابق, ج1, ص120.
[6] هوبكز, النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى, تعريب: أمين توفيق الطيبي, الدار العربية للكتاب, ليبيا_تونس, 1980, ص148.
[7] ابن عذارى, المصدر السابق, ص298.
[8] بن أبي زرع الفاسي, المصدر السابق, ص254.

اختلفوا على بيعة السعيد لذلك استعان السعيد بأجناد النصارى بعد أن تمت له الخلافة وقبض على الكارهين لخلافته[1] وقد كان الخليفة على صلة وثيقة بالبابا الذي سمح للنصارى بالقدوم والعمل داخل الجيش الموحدي.[2]

فقد ساهم النصارى في المشهد السياسي للدولة الموحدية في آخر أيامها. حيث استعملوهم كقادة عسكريين وجند لإخماد العديد من الثورات والتمردات التي كانت ضد الموحدين والصراعات التي كانت بين الموحدين والمرنيين وكان الخلفاء يعاملونهم معامله جيدة ويحسنون إليهم[3]. فبعد موقعة الإرك منح الخليفة أبو يوسف يعقوب الحرية لعشرين ألف من الأسرى النصارى ولم يستخدمهم كعبيد أو قتلهم[4] فقد كان الدافع العسكري من أهم دوافع استقرار النصارى في بلاد المغرب الموحدي.[5]

سياسيا: حاول النصارى السيطرة على الشؤون العسكرية واستئثارهم بالقرارات السياسية ومحاولاتهم تهميش الحكام الموحدين وخدمة مصالحهم[6].

فلما طلب الخليفة المأمون مساعدة فرناندو الثالث ملك قشتالة بفرقة من الجند النصارى لمحاربة منافسة على السلطة يحي بن الناصر وحصل على مبتغاه لكن مقابل ذلك تعهد المأمون بالسماح لهؤلاء النصارى ببناء كنيسة لهم وسط مراكش[7] وبدأ يزداد عددهم حتى بات يعتمد عليهم ماديا وعسكريا لإقرار السلام[8] وخلال هذه المرحلة عمل البابا إينصوان الرابع حثيثا من أجل استغلال الظرف وتدعيم الوجود النصراني بالمغرب وتحسين ظروف ممارسة الشعائر الدينية المسيحية.وتجرأ أن طلب من الخليفة السعيد أن يتخلى عن دينه ويدخل دين المسيحية[9] وقد فعل الشيء نفسه مع الخليفة عمر المرتضى وأمره بمنح الحصون للنصارى ويهدده بمنع الجند من القدوم إلى المغرب للخدمة في الجيش لعلمه بأهميتهم في الجيش الموحدي[10]

---

[1] ابن عذارى, المصدر السابق, قسم الموحدين, ص360.
[2] عز الدين أحمد موسى, الموحدون في المغرب تنظيماتهم ونظمهم, المرجع السابق, ص288.
[3] عز الدين موسى, المرجع نفسه, ص257.
[4] جمال طه, مدينة فاس في عصر الموحدين(448ه/1056م إلى 668ه/1269م): دراسة سياسية وحضارية, دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر, الإسكندرية, 2001, ص169.
[5] مختار أحمد عفيفي, المرجع السابق, ص321.
[6] ميراندا أمبروسيوهويثي, التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية, تعريب: عبد الواحد أكمير, ط1, دار النجاح الجديدة, الدار البيضاء, 2004, ص442_443.
[7] ابن أبي زرع, المصدر السابق, ص329.
[8] أبو ضيف أحمد مصطفى, أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين (524_876ه/1130_1472م), ط1, مطبعة دار النشر المغربية, 1982, ص105.
[9] لبنى الورطيطي, المرجع السابق, ص28.
[10] لبنى الورطيطي, المرجع نفسه, ص28.

وقد قبل فرناندو الثالث مساعدة المأمون الذي ولي الخلافة فترة الفتن والأزمات مقابل شروط تعسفية مجحفة تعني القضاء على سلطة الدولة ودينها. وابن أبي زرع يصف شروط فرناندو الثالث المفروضة على المأمون بقوله:" وإذا من الله تعالى عليك ودخلت مراكش تبني للنصارى الذين يسيرون معك كنيسة في وسطها يظهرون بها دينهم ويضربون فيها نواقيسهم في أوقات صلواتهم, وإن أسلم أحد من الروم لا يقبل اسلامه ويرد إلى إخوانه فيحكمون فيه بحكمهم. ومن تنصر من المسلمين فليس لأحد عليه من سبيل فأسعفه في جميع ما طلب"[1].

كما لم يتمكن الخليفة الرشيد من فتح مراكش إلا على شرط تقديم قيمة فيئها للنصارى[2] ومن ثم تعاظم دور النصارى في الشؤون السياسية والعسكرية للبلاد إلى حين سقوط الدولة الموحدية سنة 668ه/1269م[3].

فالخلفاء الموحدون المتأخرون قصدوا الاستفادة من العناصر النصرانية على المستويات العسكرية والسياسية لترسيخ حكمهم, لكنهم اضطروا لقبول وجودهم المدني ومنحهم حقوقا, لكن رغم هذا وقفوا موقفا حازما ضد محاولات التبشير في الأواسط المغربية. ففي سنة 608ه/ 1212م تم إعدام خمسة عشر مبشر مسيحي لمحاولتهم الدعوة للديانة المسيحية بالمغرب وفي سنه 616ه/1220م أعدم أربعة من رجال الدين المسحيين بمدينة مراكش لنفس السبب[4].

المبحث الثاني: اقتصاديا

تمتع النصارى أيضا بحرية تامة في ممارسة نشاطاتهم الاقتصادية. إذ وجدت منتوجاتهم رواجا كبير داخل الدولة الموحدية, ولقد ساهم التجار النصارى في ازدهار التجارة الموحدية حيث أثروا في الحركة التجارية التي عرفها المغرب الموحدي[5].

فكانت هناك علاقات تجارية بين الموحدين والنصارى. وتظهر هذه العلاقة التجارية من خلال سماح الخلفاء الموحدين لسفن النصارى بالإبحار داخل موانئ الدولة الموحدية.[6] وحرصوا على فرض الأمن على هذه الطائفة حيث ضمن لهم والي إفريقية وأكد لهؤلاء

[1] ابن أبي زرع, المصدر السابق, ص330.
[2] ابن أبي زرع, المصدر نفسه, ص335.
[3] ابن عذارى, ج3, المصدر السابق, ص430.
[4] لبنى الورطيطي, المرجع السابق, ص30.
[5] إبراهيم بوتشيش, تاريخ الغرب الإسلامي, المرجع السابق, ص100.
[6] عصمت دندش, المرجع السابق, ص217.

التجار النصارى على أمانهم في البر والبحر[1]. إذ يقول ابن حبير:" ولا يعترض الرعايا ولا التجار, فالأمن لا يفارقهم في جميع الأحوال سلما أو حربا".[2] وكان ميناء فاس مهبطا للتجار المسيحيين من مختلف الجنسيات كالإنجليزيين والبندقيين[3].

كما كان لقرب المسافة بين بلاد الأندلس وحواضر المغرب الإسلامي أثره في التقارب والتواصل بين المدن النصرانية شمال البحر المتوسط وبلاد المغرب الأقصى التي يفصل بينهما مضيق جبل طارق أو جبل الزقاق وقد شجع قصر المسافة على وجود التجار النصارى من اسبانيا ودول أخرى إلى بلاد المغرب, واستقرارها في بعض المناطق والموانئ الساحلية كمدينة سبتة وتطوان وطنجة[4].

وقد ساعد مناخ الحرية وحسن سياسة التعامل التي حرص الخلفاء الموحدون على جعلها سنة استقطبت العديد من تجار البلدان النصرانية الذين فضلوا الاستيطان والاستقرار في المدن المغربية الساحلية تسهيلا لمهامهم باستقبال السفن ونقل البضائع.[5]

وساهموا في زيادة مداخيل الدولة عن طريق استخلاص الرسوم الجمركية المفروضة على البضائع وأدخلوا إلى المغرب العديد من المنتوجات التي كانت تفتقر إليها المنطقة.[6]

كما اتخذ الموحدون التدابير اللازمة لحفظ الأمن وتحقيق الاستقرار داخل البلاد وذلك بالقضاء على الاضطرابات والفتن الداخلية والعمل على سلامة التجارة والتجار في البحر المتوسط بمقاومة القرصنة البحرية والحد من غاراتهم.[7] وقد ساعدت هذه الأمور على استقطاب العديد من التجار النصارى إلى بلاد المغرب, كما أن إحكام الموحدين قبضتهم على طرق التجارة البرية والعبور للصحراء يعد أيضا من الدوافع التجارية التي شجعت التجار النصارى على التقاطر والوفود نحو بلاد المغرب. فقد حقق الموحدون بذلك انفتاحهما على العالم المتوسطي, مما أعان على قيامهما بدور الوسيط التجاري وكل هذا

[1] محمد المغراوي, الموحدون وأزمات المجتمع, ط1, مكتبة جذو للنشر, الرباط, 2006, ص176.
[2] ابن حبير, رحلة ابن حبير, ط2, دار صادر, بيروت, 1907, ص96.
[3] الوزان أبو الحسن علي, وصف إفريقيا, تر: محمد حجي ومحمد الأخضر,ج1, ط2, دار الغرب الإسلامي, بيروت, 1993, ص208.
[4] مختار أحمد عفيفي, المرجع السابق, ص307.
[5] إبراهيم القادري بوتشيش, تاريخ الغرب الإسلامي: قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة, دار الطليعة للطباعة والنشر, بيروت, 1994, ص89.
[6] إبراهيم بوتشيش, المرجع نفسه, ص101.
[7] البكري, المسالك والممالك, تح: جمال طلبه, دار الكتب العلمية, بيروت, 2003, ص57.

يشير إلى حرص الموحدين بهذه السياسة على توطيد علاقاتهم بالدول النصرانية ونتيجة لذلك توافد العديد من التجار النصارى إلى الموانئ المغربية[1].

ولقد أقيمت العديد من المعاهدات بين الخلفاء الموحدين والتجار النصارى المعاهدين[2] وذلك لتأمين أحوالهم وبضائعهم[3], فعبد المؤمن بن علي أبرم معاهدة تجارية مع بيزة سنة 552ه/1157م فبموجبها يضمن حقوق الرعايا البزيين في إفريقية.[4] وفي عهد الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي عقدت معاهدة للتجارة تضمن حرية تجارة بيزة في كل من سبتة ووهران وحتى بجاية وتونس, لإنشاء فنادق عبارة عن حي كبير أو مدينة صغيرة في هاته المناطق, لتخزين منتوجاتهم والإقامة فيها. كانت هذه الفنادق تحتوي على كل المرافق الضرورية التي يحتاجها التجار النصارى. فقد وجدت دكاكين وكنيسة وكاتب عدل وقد كان لهذه الجاليات قنصلها الخاص وعقدت لمده 25 سنة.[5] فقد أنشئت هذه الفنادق لغرض تبادل البضائع كشراء جلود الماعز والضأن والشمع مقابل الأقمشة والمنتوجات الشرقية.[6]

لذلك شكلوا مصدرا لبيع المنتوجات المغربية خاصة منها الذهب.[7]

ومع كل هذه الاتفاقيات التجارية مع الدويلات المسيحية وما قدمته هاته الدول لهؤلاء التجار من أمن واستقرار إلا أنها لم تسلم من شرور أعمالهم, فقد تعرضت سبتة لسطو من جالية جنوية 636ه/1234م لكن عمليتهم لم تنجح وخاب سعيهم وبعد أن قاموا بعمليات السلب والنهب قتل العديد منهم دفاعا عن ما عملوه, ومع هذا عوضت الخلافة الموحدية الجالية الجنونية فيما نهبوا منه وذلك بإبرام معاهدة.[8]

وحتى في مجال الزراعة[9] استفاد الموحدون من خبرات النصارى في هذا المجال, بحيث كانت لهم خبرة في الفلاحة والسقي وساهموا في تطوير الزراعة في بلاد المغرب الموحدي.[10]

---

[1] إبراهيم بوتشيش, المرجع السابق, ص89.
[2] ابن رشد محمد بن محمد بن أحمد القرطبي, المصدر السابق, ج3, ص142.
[3] شريف عبد القادر, المرجع السابق, ص52.
[4] محمد ماهر حمادة, المرجع السابق, ص403.
[5] إبراهيم بوتشيش, تاريخ الغرب الإسلامي, المرجع السابق, ص94.
[6] شريف عبد القادر, المرجع السابق, ص52.
[7] إبراهيم بوتشيش, المرجع السابق, ص94.
[8] ابن عذارى, المصدر السابق, قسم الموحدين, ص350.
[9] شريف عبد القادر, المرجع السابق, ص52.
[10] إبراهيم بوتشيش, المرجع السابق, ص105.

المبحث الثالث: دينيا_ اجتماعيا

دينيا: ظهر النشاط التنصيري في عهد المأمون خليفة الدولة الموحدية. وبرز بشكل أوسع في فترة ضعف الدولة, خاصة بعد هزيمة معركة العقاب, فبدأ البابا اينوسان الرابع يراسل الخليفة المرتضى الموحدي مع لوب فرناندو داين سنة 644ه/1246م الذي استكثر من النصارى لخدمته آملا في إعادة المغرب إلى السيطرة المسيحية, وقد أظهر البابا رضاه عن الامتيازات التي منحها الخليفة للجند النصارى. لأنه كان بحاجة ماسة إليهم. كما طلب المزيد منهم للخدمة معه. وهذا ما دفعه إلى ترميم الكنائس التي كانت موجودة في دولته ضمانا لبقائهم وهي العملية التي استحسنها البابا. وجعله يؤكد للخليفة أن هؤلاء النصارى سيواصلون تقديم المساعدة له وبكل طاقتهم. ويحمون دولته من أعدائه. وأنه سيجد مساعدة أكثر إذا أصبح مواليا للمسيح.[1] ومقابل ذلك منحهم المدن والقلاع والحصون للتمركز بها, مخافة من أي اعتداء محتمل عليهم. ويحاول البابا إقناع الخليفة المرتضى بأن هذا الإجراء يصب في مصلحة كل من الطرفين الجند وحتى الخليفة. وبهذا أكد أن البابا يدعم التواجد المسيحي والهدف من ذلك هو تحقيق مكاسب للحركة الصليبية.

ولما لم يستجب المرتضى لمطالب البابا كما يظهر ذلك بجلاء في رسالته الموجهة إليه, المؤرخة سنه 18 ربيع الأول 648ه/1250م. أرسل إليه البابا رسالة للمرة الثانية وكان ذلك سنة 649ه/1251م يلح فيها على طلبه ويهدده بمنع الجند لخدمتهم في الدولة الموحدية. وفي هذا الإطار بعث البابا رسائل أخرى مماثلة إلى سلطان تونس وأمير بجاية وسبتة يوصيهم بالنصارى المتواجدين في بلادهم.[2]

وقد شهدت الحركة الصليبية نشاط خلال هذه الفترة من خلال دور المبشرين والرسائل التي كانت ترسلها البابوية راغبة في عودة المسيحية إلى بلاد المغرب من جديد على أنه قد كانت مزدهرة في إفريقية من قبل الفتح الإسلامي, وأن هذه البلاد مثلت إحدى المراكز الهامة لهذه الديانة. وانتظرت الفرصة لبعث أمجاد المسيحية فيها من جديد, مستغلة حالة الضعف والفوضى السياسية داخل الدولة الموحدية.[3]

---

[1] ممدوح حسين علي حسين, الحروب الصليبية في شمال إفريقيا وأثرها الحضاري سنة 668_796ه/1670_1390م, ط1, دار عمان, الأردن, 1998, ص397.

[2] ممدوح حسين, المرجع نفسه, ص398.

[3] حفيظ كعوان, أثر فقهاء المالكية الإجتماعي والثقافي بإفريقية (2_5ه/8_11م), مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي, كلية الأداب والعلوم الإنسانية, قسم التاريخ وعلم الأثار, جامعة العقيد الحاج لخظر, باتنة, 2008_2009, ص149.

ومن الشخصيات المسيحية التي قصدت بلاد المغرب بهدف تنصير سكانه والدعوة إلى الدين المسيحي نجد:" رايمول لول"[1] الذي تعلم اللغة العربية والعلوم الإسلامية وحاول مناظرة المسلمين ونقل حججه وأدلته من خلال معارضة فلسفة ابن رشد. وألف كتب بالعربية وكون الرهبان وأنشأ المدارس لتعلم العربية ومواجهة المسلمين وتنصيرهم ففتح الحوار معهم ودعاهم إلى مناظرته حول مسألة التثليث بتونس سنة 1292م حيث جمع الناس حوله مدعيا أنه يعلم المسيحية وجاء لدراسة الإسلام واستطاع أن يعارض حججهم مما جعلهم يعتبرون ذلك خطرا على المسلمين وأخبروا السلطان بذلك فألزمه السجن مدة ثم أطلق سراحه وغادر إلى جنوة.

وفي سنة 1307م زار بجاية من أجل التبشير بقوله:" إن شريعة الإسلام غير صحيحة وأني مستعد لأبرهن على ذلك". وهذا ما جعل مفتي المدينة "عمار" أن يأمر بسجنه ثم أفرج عليه ورحل إلى جنوة.[2]

لذلك تميزت العلاقة بين فقهاء المسلمين وأهل الذمة النصارى تتميز بالفتور. فكانت نادرا ما تقام بينهم وبين النصارى المجادلات والمناظرات. لأن علماء بلاد المغرب كانوا يخافون الوقوع في الإثم. فقد وقعت مناظرة بالقيروان جرت بين أبي محمد عبد الله التبان وأحد علماء النصارى حول مسألة التثليث. وبعد أن وفد هذا الأخير على عبد الله بن محمد الكاتب أرسل عبد الله إلى ابن التبان ليناظره. وقبل أن يشرعا في المناظرة خير ابن التبان عبد الله بن محمد الكاتب بين أن يطيل في مناظرة الرجل النصراني أو يوجز في ذلك فطلب منه عبد الله أن يوجز في مناظرته. وعندئذ قال ابن التبان لترجمانه:" قل له: أنتم تعتقدون ثلاثة؟.. فأخبرني الواحد مفتقر إلى اثنين أو مستغن عنهما؟..." فاحتار النصراني في أمره, ولم يجد ما يرد به على ابن التبان.[3]

لكن مع كل هذا وقفوا الخلفاء الموحدون المتأخرون موقفا حازما ضد محاولات التبشير في الأواسط المغربية. ففي سنة 608ه/1212م تم إعدام خمسة عشرة مباشرا مسيحيا لمحاولتهم الدعوة للديانة المسيحية بالمغرب. وفي سنة 616ه/1220م تم إعدام أربعه من رجال الدين المسيحيين من الإخوان الصغار بمدينة مراكش لنفس السبب وبعد ذلك بسبع

[1] راميول لول: ولد بجزيرة مايوركا سنة 1212م وكانت أسرته قد قدمت من منطقة كاتا لونيا سنة 1213, وترعرع واختلط بالسكان العرب, عرف برحلاته ومؤلفاته في الفلسفة والتصوف. ينظر: محمود حسين, المرجع السابق, ص418.
[2] محمود حسين, المرجع نفسه, ص421.
[3] حفيظ كعوان, المرجع السابق, ص150.

سنوات 624ه/1227م اعدموا سبعة فرانسيسكا تبين ايطاليين بساحة عمومية بمدينة سبتة عندما كانوا يقومون بالدعوة المسيحية علانية حاملين الصليب بأيديهم.[1]

اجتماعيا: سمح الموحدون للنصارى بإقامة ملاجئ[2], وقد سمح لهم أيضا كما تطرقنا سابقا بإقامة كنيسة في مدينة مراكش. كما وجدت في فاس كنيسة. سمح للنصارى فيها بدق أجراسها[3].

أما فيما يخص لباسهم فيأتي في مقدمتها الزنار وهو حرام يلبسه النصارى, وكانوا يرتدون أيضا لباسا اسمه الشكلة وهي مكونة من قميص وبرنس وقلنسوة لونها أسود يبلغ طول القميص ذراعا في عرض ذراع وله أكمام واسعة تصل أحيانا إلى الأقدام.

وقد لبس أهل الذمة العمامة والقلانس بعد أن أجاز لهم الفقهاء ذلك ويكون ارتدائهم لها بوضع علامات تميزهم عن باقي أهالي المغرب ذلك أن من النصارى من لبسوا ملابس مطابقة للمسلمين حتى أصبح من الصعب التمييز بينهم وبين المسلمين وهذا ما جعل الفقهاء يتشددون في منع النصارى من ارتداء ملابس المسلمين وطلب منهم وضع علامة يعرفون بها[4].

فالأمير المأمون تسامح مع الموحدين إلى حد كبير حتى سمح البابا هونوريوس الثالث سنة 626ه/1229م بتغيير لباسهم وإطالة لحاهم ما داموا في المغرب مع العلم أنهم كانوا يحلقون لحاهم وشواربهم وترادفت رسائل الشكر لأمراء الموحدين على حسن معاملة النصارى المتواجدين في أراضيهم[5].

كما أخذت نساء النصارى عن نساء المسلمين لبس الحجاب, فكانوا يغطين وجوههن ولا يبدين زينتهن[6].

---

[1] لبنى الورطيطي, المرجع السابق, ص29.
[2] بديعة الخرازي, المرجع السابق, ص22.
[3] جمال أحمد طه, مدينة فاس, المرجع السابق, ص170.
[4] حماد فضل الله الصالحين صالح, تاريخ المغرب الأقصى الإقتصادي والاجتماعي في عصر المرابطين 448_541ه/1056_1146م, مذكرة لنيل شهادة الماجستير بكلية الأدب, قسم التاريخ, إشراف: علي حسين الشطشاط جامعة بنغازي, 2012, ص27.
[5] شرقي نوارة, المرجع السابق, ص75.
[6] هشام أبو رميلة, علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس, ط1, دار الفرقان, عمان, 1984, ص362.

ومن أهم مظاهر التسامح بين الموحدين والنصارى أن الخلفاء الموحدين[1] لم يجدوا حرجا في الزواج من النصرانيات[2] كما يذكر ابن حزم الأندلسي أن زواج الخلفاء من النصرانيات

كان مستهويهم منذ القدم فالبيت الشعري الآتي يبين مدى حب الخلفاء الزواج من النصرانيات الشقراوات:

- ❖ يعيبونها عندي بشقرة شعرها فقلت لهم هذا الذي زانها عندي
- ❖ يعيبون لون النور والبتر صله لرأي جهول في الغواية ممتد
- ❖ وهل عاب لون النرجس الغض عائب ولون النجوم الزاهرات على البعد[3]

فقد كان هذا منذ بداية الفتح الإسلامي للمغرب والأندلس ومن أبرزها: زواج عبد العزيز بن موسى بن نضير والي الأندلس بإفيلونا التي يدعوها العرب أم عاصم.

وفي عصر الإمارة تزوج الوزير تمام بن عامر بن أحمد بن غالب الثقافي بأم الوليد بنت خلف بن رومان النصرانية وأنجبت له بنتا هي أم الوزير الكاتب عيسى بن فطيس[4].

ومن الخلفاء الموحدين الذين تزجوا من نصرانيات يوسف بن عبد المؤمن الذي تزوج من نصرانية اسمها ساحر[5] وأنجبت له ابنه يعقوب المنصور. وقد تزوج هذا الأخير من سبيتين الأولى من شنترين تدعى سر الحسن والثانية اسمها زهرة. وقد أجبت له زهر محمد الناصر الذي تزوج هو الأخير من نصرانية تدعى قمر[6]. كما تزوج الخليفة الموحدي المأمون[7] من نصرانية تدعى حبابة[8]

التي أنجبت له الخليفة الموحدي الرشيد[9]. والزواج من النصرانيات لم يكن يقتصر على الخلفاء فقط بل نجد بعض المغاربة تزوجوا بهن.

---

[1] ايمان عبد الرحمن حسن العثمان, المرجع السابق, ص4.
[2] هشام أبو رميلة, المرجع السابق, ص362.
[3] ابن حزم الأندلسي, طوق الحمامة من الألفة والألاف, ط1, مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة, القاهرة, 2016, ص ص 38_39.
[4] عبادة كحيلة, تاريخ النصارى في الأندلس, ط1, 1993, ص166.
[5] عبد الواحد المراكشي, المعجب, المصدر السابق, ص218.
[6] قتيبة علي إبراهيم سمور, العلاقات الحربية بين الموحدين والممالك الإسبانية في شمال الأندلس (540_620ه/1145_1235م), إشراف: محمد عبده حتاملة, مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي, كلية الدراسات العليا, الجامعة الأردنية, تموز, 1996, ص191.
[7] هشام أبو رميلة, المرجع السابق, ص372.
[8] ابن الخطيب, المصدر السابق, ج1, ص419.
[9] ابن عذارى, المصدر السابق, ص299.

بل ودخل بعض النصارى الإسلام بمحض إرادتهم.[1]

ومن مظاهر الامتزاج الاجتماعي بين المغاربة والنصارى أثناء الخلافة الموحدية. أنه قحطا أصاب مراكش في عهد الخليفة الموحدي المنصور. فخرج النصارى للدعاء والاستسقاء مع سكان المنطقة[2]. وحتى أنهم كانوا يقيمون احتفالاتهم منها عيد المسيح وهو من الأعياد المعظمة عند النصارى بحيث يتبادلون فيه الهدايا خاصة المأكولات المختلفة[3] وكانوا يحتفلون أيضا بظهور الأسنان عند المولود[4] وعيد رأس السنة الميلادية يسميه الأندلسيون بعيد الفيروز أو ليلة الحجوز[5] ويزعم النصارى أن يحي بن زكريا غسل عيسى عليهما السلام في بحيرة الأردن وهو أحد الأعياد الكبرى.[6]

فهذا يدل على تواجد النصارى بالمغرب وخاصة الأندلس وأنهم مارسوا حياتهم بشكل طبيعي. فوضعيتهم داخل الدولة الموحدية تميزت بسياسة التسامح خاصة في عهد الخلفاء الأواخر الذين منحوا لهم الحرية في جميع الميادين.

[1] إبراهيم بوتشيش, المرجع السابق, ص103.
[2] حسن علي حسن, المرجع السابق, ص372.
[3] محي الدين صفي الدين, المستعربون ودورهم في تاريخ الأندلس 138_483ه/755_1090م, مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارة الأندلس, قسم التاريخ وعلم الأثار, كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية, جامعة وهران السانية, 2007_2008, ص3.
[4] إبراهيم بوتشيش, المرجع السابق, ص114.
[5] الونشريسي, ج11, المصدر السابق, ص293.
[6] النويري, المصدر السابق, ج1, ص181.

تواجد النصارى في الدولة الموحدية كباقي الفئات الأخرى وتمتعوا بكامل حرياتهم, حين استقروا بأهم المدن كمهدية, مراكش, إفريقية, رغم أنه في بدايات الدولة كانت هناك حيطة والحذر من هؤلاء النصارى وذلك من خلال تعاملهم مع المرابطين في أواخر عهدهم فحاول الخليفة عبد المؤمن أن يدخلهم الإسلام أو المغادرة إلى بلادهم.

وقد ساهموا في المشهد السياسي والعسكري للدولة الموحدية حيث استعملوهم كقادة عسكريين وجند لإخماد الثورات والتمردات التي كانت ضد الموحدين وقد كان الدافع العسكري من أهم الدوافع لاستقرارهم وبدؤوا في فرض سيطرتهم واستغلال الوضع لفرض وجودهم.

وحتى في نشاطاتهم الإقتصادية تمتعوا بالحرية الكاملة فكانت هناك علاقات تجارية لذلك حرص الخلفاء الموحدينن على الأمن وحسن التعامل معهم واستفادوا من خبراتهم الزراعية.

لكن سرعان ما بدأ النشاط التنصيري بعد ضعف الدولة الموحدية خاصة بعد انهزامهم في معركة العقاب ومحاولات التبشير لبعث أمجاد المسيحية من جديد إلى أن خلفاء الموحدين وقفوا موقفا حازما ضد مدة المحاولات.

خاتمة

وفي الأخير ومما درسنا حول موضوع نصارى المغرب الإسلامي في عهدي المرابطين والموحدين, يمكنا قول واستنتاج:

- ❖ قيام دولة المرابطين في أقصى جنوب المغرب الإسلامي لعاملين كان أولهما إحياء وإرجاع تعاليم الشريعة الإسلامية ومحاربة الجهل والظلال والعامل الثاني هو توحيد المغرب الإسلامي بعد التفكك الذي طرأ عليه وصراع أهله على الحكم. فاستطاعت أن تقطع شوطا كبيرا من الانتصارات والفضل في كل هذا يعود لحكامها المتميزين بالشجاعة والحنكة المتشبعين بالأخلاق الكريمة المقتدين بالسلف الصالح لكن هذه الانتصارات لم تدم طويلا حتى انقلبت الموازين وهشت مكانتها من عقر دارها فانحرف حكامها إلى الدعة وتراجع قيمهم.
- ❖ ظهور دولة الموحدين التي قامت على نفس أسس دولة المرابطين وراحت تزاحم هذه الدولة وترقى رقيها بهمتها العالية فحققت من الانتصارات ما لم تحققه غيرها, لكنها وقعت في نفس خطأ دولة المرابطين بالميل إلى الترف والابتعاد عن التعاليم الإسلامية.
- ❖ أهل الذمة هم أهل الكتاب من يهود ونصارى الذين أقاموا في دار الإسلام مقابل دفع الجزية الواجبة عليهم من أجل حماية أنفسهم وأموالهم.
- ❖ استمرار النصارى في التواجد في المغرب الإسلامي عبر جميع مراحل تطور البلاد من الفتح الإسلامي حتى مرحلة قيام الدويلات المستقلة: الرستمية, الأغلبية, الأدريسية وحتى الفاطمية, على أنهم خضعوا لأحكام الشريعة الإسلامية والقوانين المعمول بها, فحضوا بمكانة اجتماعية, بل وتقلد بعضهم مناصب حساسة في جميع الميادين هذا ما يدل على سياسة التسامح التي عامل المسلمون بها النصارى لكن في المقابل بعض النصارى ساندوا بنو بلدتهم ضد المسلمين وعملوا الدسائس كما جرى في عهد الدولة الأغلبية عندما نقل نصارى إفريقية الأخبار لقائد الأسطول البيزنطي بصقلية على أن الأمير الأغلبي إبراهيم شرع في بناء أسطول لمواجهة الأساطيل البيزنطية.
- ❖ خلال عهدي المرابطين والموحدين شهدت البلاد تفاعلا كبيرا مع الجاليات النصرانية الموجودة في المنطقة, فكانت هذه الفترة مرحلة حيوية من الناحية الثقافية والفكرية حيث امتزجت العناصر الإسلامية بالنصرانية بطرق مختلفة.
- ❖ تميزت السياسة تجاه النصارى في عهد المرابطين بالتسامح والتعايش فقد كانوا كباقي الفئات الاجتماعية الأخرى بحيث استقروا في مختلف الحواضر كمراكش وسلا. شاركوا في شتى المجالات حيث أن المجال العسكري شكلوا معظمه فقد كانوا يمثلون الجزء الأساسي منه بحيث تقلدوا وظيفة جباية الضرائب وخدمة الحرس

الملكي وحتى حياتهم الاجتماعية اتسمت بالاستقرار خصصوا لهم المرابطين أحياءا خاصة فيها احتياجاتهم اليومية أما الحياة السياسية ففي عهد علي بن يوسف ساهموا بشكل فعال في إدارة شؤون الدولة, فالعصر المرابطي لم يكن عصر تهميش لهم. خاصة أن حكام الدولة اتصفوا بالمساواة فكانت هناك حرية نسبية.

- ❖ لقي النصارى معاملة حسنة في ظل الحكم الموحدي, حيث كان لهم حضور قوي وكانت حياتهم جد طبيعية, إذ ساهموا في المجال العسكري في بداية تأسيس الدولة, ورغم محاولات البابوية لتنصير الحكام كالمرتضي الموحدي مع تشجيع حركة الاستيطان في المنطقة وكل مجهودات الكنيسة باءت بالفشل وذلك لتصدي علماء وفقهاء تلك الفترة لهم.

الملاحق

الملحق رقم 01.

حدود الدولة المرابطية في أقصى توسعها[1]

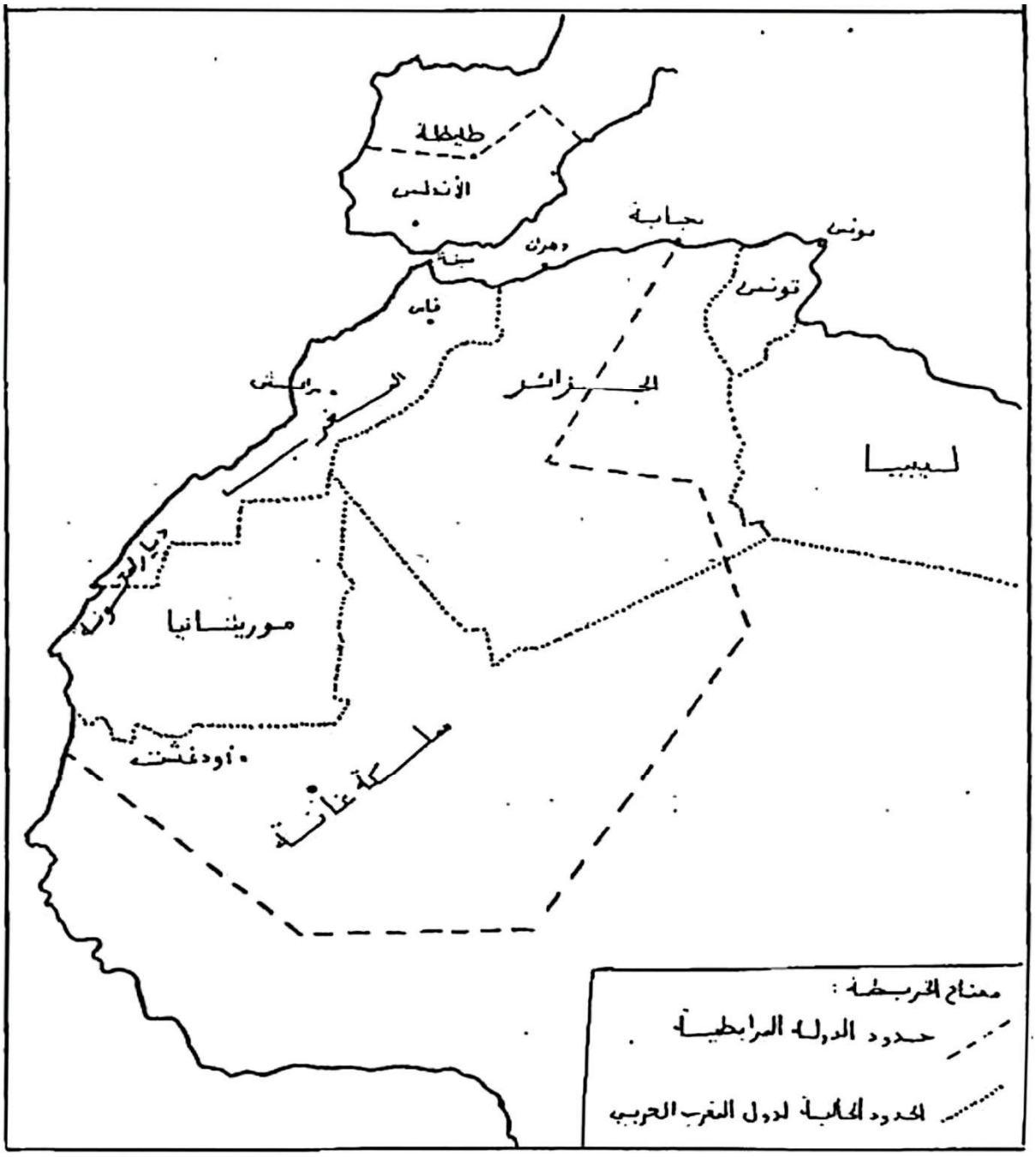

[1] القادري بوتشيش, المغرب والأندلس في عصر المرابطين, المرجع السابق, ص11.

الملحق رقم 02.

مراكز استيطان المسيحيين في المغرب والأندلس في عصر المرابطين[1]

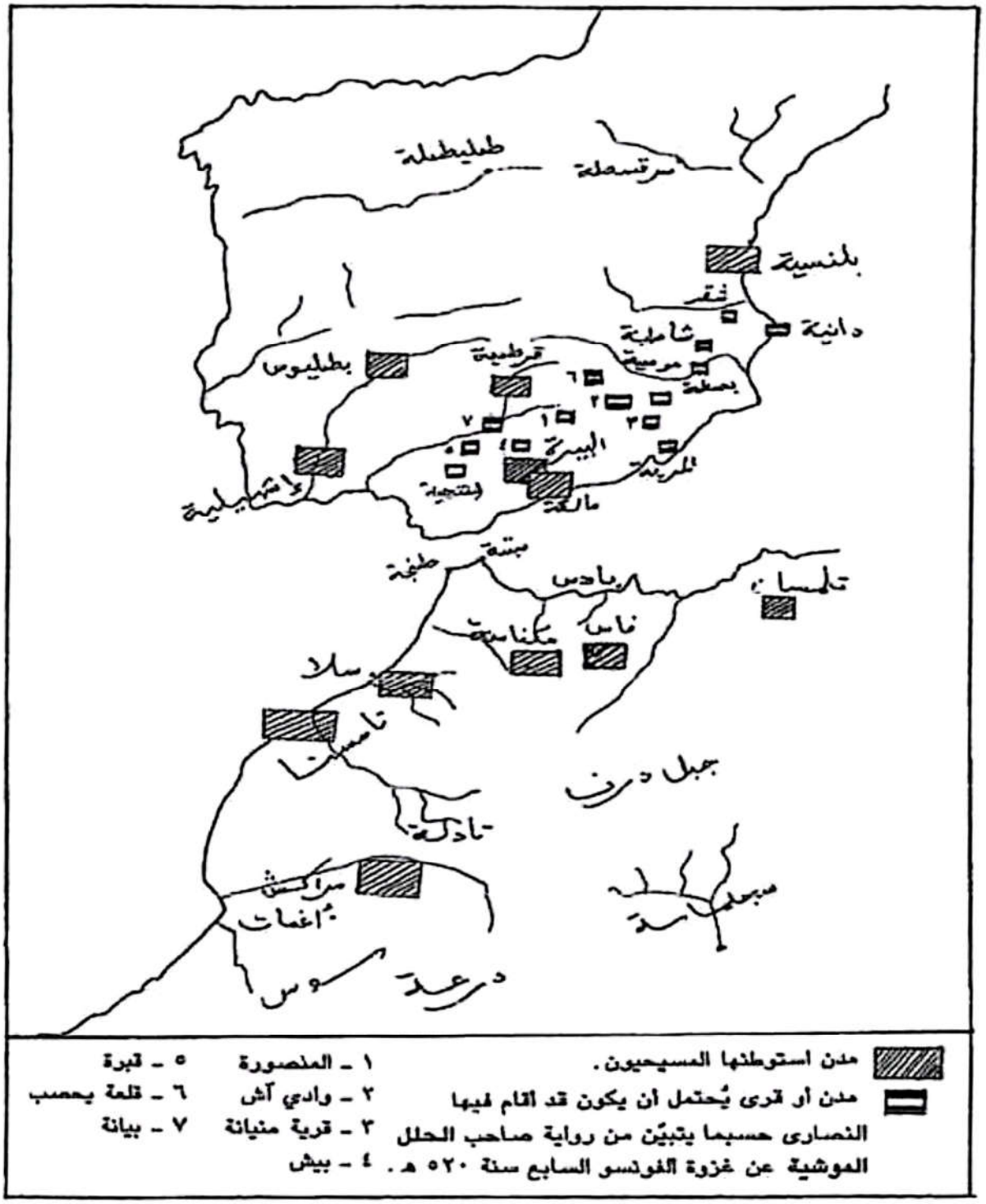

[1] القادري بوتشيش, مباحث في التاريخ الاجتماعي, المرجع السابق, ص254.

الملحق رقم 03.

رسالة من غريغوار السابع إلى الناصر أمير دولة بني حماد[1].

" من غريغوار الأسقف عبد عبيد الله إلى الناصر ملك موريتانيا وناحية سطيف بافريقيا عليكم السلام والبركة البابوية.

كتبت لنا نبالتكم لتطلب منا سيامة الكاهن سرفاند كأسقف حسب القوانيين المسيحية وأسرعنا في تلبية طلبكم لأنه كان عادلاً. وفي نفس الوقت بعثتم لنا هدايا وأمرتم بفدي المسيحيين الذين كانوا أسرى عندكم وأوعدتمونا بفدي جميع الأسرى الذين يوجدون فيما بعد وذلك إحتراماً لبطرس الطوباوي أمير الحواريين ومحبة لنا. إن الله خالق جميع الأشياء الذي لانستطيع أن نعمل أي شئ بدونه والله القدير الذي يريد أن كل عباده ينجون وأن لا يهلك أحد منهم،لا يوافق شيئاً أكثر من حب الغير بعد حبه وتطبيق هذا المبدأ:"إعملوا للآخرين ما تريدون أن يعملوا لكم".

وعلينا أن نمارس الفضيلة في محبة الغير أنتم ونحن أكثر من الشعوب الأخرى لأننا نعبد بطرائق مختلفة نفس الله الواحد ونمدحه كل يوم ونوقر فيه خالق القرون ورب العالم.

إن نبلاء مدينة رومة لما أخبرتهم بالعمل الذي أوحاه الله عليكم تعجبوا من سموا لطفكم ويذيعون ثناءكم ومن بينهم ألبريك وسنسيوس وهم منخاصتنا المألوفين وتربيان م شبابهما معنا في قصور رومة ويريدان صداقتكم والاحسان المتبادل معكم. ويسعدهما إن إستطاعا أن يعملا ما يرضيكم في هذه البلاد. ويبعثان إليكم بعض رحالهما الذين يقولون لكم إلى أي حد يقدران خيرتكموعظمتكم وإلى أي حد يرضيان أن يكونا في خدمتكم هنا.إننا نوصي جلالتكم على رحالنا القادمين إليكم ونطلب منكم إليهم المحبة والتفاني اللذين يكونا لنا دائماً في سبيلكم وكلما يخصكم. والله يشهد أنه هو القادر الذي أوحى الولاء الذي أقطعناه إليكم وإلى أي أحد نتمنى سلامكم ومجدكم في هذه الدنيا وفي الآخرة. ونرجوه من صميم قلبنا أن يستقبلكم بعد حياة طويلة في حضن سعادة الأب القدوس إبراهيم".

[1] رشيد بوروبية, الدولة الحمادية, ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر, 1977, ص 164_165.

الملحق رقم 04.

رسالة من المرتضى أمير دولة الموحدين إلى البابا أنوسنت الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً والحمد لله وحده

من عبد الله عمر أمير المؤمنين ابن سيدنا الأمير أبي إبراهيم بن أميرالمؤمنين ابن أمير المؤمنين أيدهم الله تعلى بنصره وأمدهم بمعونته إلى مطاع ملوك النصرانية ومعظم عظماء الأمة الرومية وقيم الملة المسيحية ووارث رياستها الدينية البابه اينه سانس أش أنار الله تعلى بصيرته بتوفيقه وإرشاده وجعل التقوى التي أمر عز وجل بها عدته لمحياه ومعاده وأناله من سابق الهداية ما يفضي لمدى الغاية بأتم انفساحه وامتداحه تحية كريمة نراجع بها ما تقدم من تحياتكم الواردة علينا ويترجم لكم أرجها عما تعتمدكم به المبار لدينا. أما بعد فإنا نحمد الله الذي لا إله إلا هو حمد من علم أنه الرب الواحد الذي دلت على وحدانيته البراهين القاطعة والشواهد ونزهته العقول الراجحة عن أن يكون له ولد أو يدعى أنه الوالد تعالى الملك الرحمان عما يقول المثلث والمشبه والجاحد ونصلي على سيدنا محمد رسوله المصطفى الكريم الذي وضحت به للنجاة المذاهب والمقاصد وخرقت له بظهور المعجزات الباهرة على يديه العوائد ونصر بالرعب فألقى له يد الاستسلام كل من كان يناوى ويعاند وعلى آله وصحبه الكرام الذين ازدانت بهم المحاضر والمشاهد ووصلت قصار صوارمهم في مواقف الخروب السواعد وأنجزت لهم في استيلاء الإسلام على مشارق الأرض ومغاربها المواعد ونسأل الله عز وجل رضاه عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم الذي جذبه لدين الله تعلى الشباب المعاود وأهلت بهدايته بعد إقفارها المعاهد وباء بالخسران المخاتل لأمره والمكايد وعن الخلفاء الراشدين المهتدين الذين تولى منهم إتمام بدايته الإمام الراشد فالراشد وعلت بهم لأمر الله تعالى المراقي والمصاعد وعن سيدنا الأمير الطاهر أبي إبراهيم بن سيدنا الخليفة أمير المؤمنين بن سيدنا الخليفة أمير المؤمنين الذي طابت منه العناصر والمحاتد واشتق من نبعة للخلافة قد أورق نضارة وغضارة فننها المائد وزهد في الدنيا الفانية ورغب في الأخرى الباقية فنعم الراغب الزاهد. وهذا كتابنا كتب الله تعالى لنا حظوظاً من رضاه تزكو وتتوفر واستعملنا وإياكم بكل ما نتهيأ به لإحراز الفوز لديه ونتيسر من حضرة مراكش حرسها الله تعالى ودين الله عز وجل عال مسماه ومصعده والتوحيد حال بالظهور جيده ومقلده والسعي معمل في ابتغاء رضاء الله تعالى موفقه ومسدده والحمد لله رب العالمين حمداً

يتوالى على الألسنة تكرره وتردده ونستدعي به من مزيد النعماء أفضل ما وعد به تعالى من يشكره ويحمده وإلى هذا يسر الله تعالى بتوفيقه إسعادكم وجعل في طاعته التي تعبر بها خلقه اصداركم وايرادكم فإنه سبقت منا اليكم مراجعات عن كتبكم المؤثرة الواصلة الينا وأرسلنا نحوكم من الجواب عنها ما تممنا به بركم ووفينا وعرفناكم أنا نوجب لمنصبكم الذي أبر في ملتكم على المناصب وأقر لرتبتكم فيه أهل دينكم.

الهامش:

بالشغوف على سائر ما لهم من المراتب فأنتم عندنا لذلكم بالتكرمة الحفيلة ملحوظون وبالعناية الجميلة محظوظون يؤكد من أسباب المواصلة لكم ما حقه أن يؤكد ونجدد من عهود الحفاية بكم ما شأنه أن يجدد ونشكر لكم ما توالى علينا من حسن إيثاركم لجانبنا وتردد وفي سالف هذه الأيام انصرف عن حضرة الموحدين أعزهم الله البشب* الذي كان قد وصل بكتابكم إلينا انصرافاً لم يعده منا فيه بر وإكرام ولم يغبه فيه اعتناء به واهتمام كما أنه في المدة التي قضي له فيها لدينا بالمقام لم نزل نتعهده أثناءها بالإحسان والإنعام وتحمل كتابنا إليكم تعريفا بما اختار من انصرافه وتوخياً في ما آثره من ذلك لإسعافه وما قصر له في حالي مقامه ورحيله ولا عدل به عن حفيّ البر وحفيله وسنيّ المن وجزيله ذهابا لتكريم إشارتكم السابقة في حقه وسلوكاً به من البر على أوضح طرفه والله تعالى يرشد في كل الأحوال لأزكى الأعمال لديه وينجد من الأقوال والأفعال على ما يقرب إليه بمنه ومتى سنح لكم أسعدكم الله تعالى بتقواه أن توجهوا لها ولاء النصارى المستخدمين ببلاد الموحدين أعزهم الله من ترونه برسم ما يصلحهم في دينهم ويجريهم على معتاد قوانينهم فتخيروه من أهل العقل الراجح والسمت الحسن وممن يستلذ في النزاهة على واضح السنن وممن يتميز في الخدمة بالمذهب المستجاد والقصد المستحسن وذلك هو الذي إذا تعين من قبلكم مستجمعاً للصفات المذكورة ومتحلياً بالخلال المشكورة حسن في كل ما يستخدم الرب.

نقلا عن ممدوح حسين, المرجع السابق, ص716_715.

الملحق رقم 05.

اتفاقية بين الجنويين والموحدين[1].

كانت مدينة جنوة من أقدم المدن الإيطالية في التعامل مع الموحدين، إذ نظمت العلاقات بين الطرفين باتفاقية سنة 548 (1153-1154)، وتجددت بعد فتح المهدية (1160-1161 / 556-557)، فأصبح للجنويين حق المتاجرة مع سواحل الدولة الموحدية مع امتياز خاص وهو أداء ضريبة 8 % على سلعهم ماعدا في بجاية فهي 10 %، وانتظمت التجارة مع موانئ مهمة مثل طرابلس وتونس وبجاية وسبتة. وكانت المهدية أيضا تستقبل سفن الجنويين، فقد أشار صاحب الروضتين خلال أحداث سنة 586 إلى وصول مراكب بالبضاعة الجنوية إليها "فباعت بها وتزودت منها وقصدت الشام خيب الله قصدها !.

ويبدو أن الخبرة التجارية الطويلة الأمد علمت الجنويين كيف يحترمون الاتفاقات مع الغير، ومعاقبة حكامهم لكل من يخرق هذه الاتفاقات، وهذا ما تعترف به رسالتان موحديتان إلى بيشة لحض حكومتها على أن تحذو حذو جنوة في معاقبة من لا يحترمون العهود.

إن التجار الإيطاليين (وخاصة البيشانيين) لم يهتموا كثيرا بالإطار السياسي أي أنهم يتعاملون مع المسيطر على المنطقة الساحلية حيث تقع المدن التجارية التي تهمهم، فمعاهدة المنصور مع بيشة سنة 582 تمت قبل أن يركز المنصور نفوذه بالمنطقة، بل وقبل إعادته فتح قفصة والجريد من يد بني غانية. وعندما تمرد ابن عبد الكريم الكومي بالمهدية على والي تونس ترددت السفن التجارية البيشانية إلى المهدية حسبما يفهم من التهديد الذي وجهه والي تونس إلى بيشة من مغبة التعامل مع هذا الثائر، وكان هذا التحذير موجها أيضا بواسطة حكومة بيشة إلى أحد حكام سردينيا التابع لها بشكل ما. وعندما أصبحت إفريقية سنة 600 بيد ابن غانية تبادل المراسلات مع بيشة واليه على المهدية علي ابن الغازي، وبعودة النفوذ الموحدي إلى إفريقية تستمر العلاقات مع الإيطاليين وتنظم بصفة أكثر في العهد الحفصي.

[1] أحمد العزاوي, رسائل موحدية, ج2, ط1, جامعة ابن طفيل كلية الأدب والعلوم الإنسانية, 2001, ص92_93.

قائمة البيبليوغرافيا

القرآن الكريم:

برواية ورش:

1) الآية 105 من سورة البقرة.
2) الآية 08 من سورة التوبة.
3) الاية 105 من سورة التوبة.
4) الآية 14 من سورة الصف.

الكتب:

اولا: المصادر:

1) ابن أبي دينار القيرواني, المؤنس في أخبار إفريقية وتونس, ط1, مطبعة الدولة التونسية, 1286م.
2) إبن الأبار, المعجم في أصحاب القاضي الصدفي, تح: ابراهيم الأبياري, ط1, دار الكتاب المصري, دار الكتاب اللبناني, القاهرة, بيروت, 1989.
3) _____, المقتضب من كتاب تحفة القادم, تح: ابراهيم الأبياري, مجلد 17, ط3, دار الكتاب المصري, دار الكتاب اللبناني, القاهرة, بيروت, 1989.
4) ابن الأثير عمر عز الدين, الكامل في التاريخ, ج8, دار الكتاب العربي, بيروت, 2012.
5) ابن الحاج التجيبي القرطبي, نوازل بن الحاج, تح: أحمد شعيب اليوسفي, ج2, مطبعة تطوان, 2018.
6) ابن الخطيب لسان الدين, الإحاطة في أخبار غرناطة, تح: محمد عبد الله عنان ج1, ط2, مكتبة الخانجي, القاهرة, 1973م
7) ابن القطان المراكشي, نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان, تح: محمود علي مكي, ط2, دار الغرب الإسلامي.
8) ابن المنظور الأنصاري, لسان العرب,دار الحديث, القاهرة,2003.
9) ابن بشكوال أبو القاسم, الصلة في تاريخ أئمة الأندلس, تح: إبراهيم الأبياري, ط1, دار الكتاب اللبناني, بيروت, 1989.
10) ابن جبير الأندلسي, رحلة اين جبير, ط2, دار صادر, بيروت, 1907.
11) ابن حزم الأندلسي, طوق الحمامة من الألفة والألاف, ط1, مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة, القاهرة, 2016.
12) أبو القاسم محمد ابن حوقل, صورة الأرض, بيروت, دار مكتبة الحياة, 1979.

13) ابن خلدون عبد الرحمان, تاريخ ابن خلدون, ج1, دار الفكر للطباعة والنشر, بيروت, 2001.
14) _____, كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر, تح: محمد علي بيضون, المجلد6, ط2, دار الكتب العلمية, بيروت, 2003.
15) أحمد بن محمد بن أبي بكرابن خلكان, وفيات الأعيان, تح: احسان عباس, ج5, ط3, دار صادر, بيروت.
16) ابن رشد القرطبي, فتاوى ابن رشد, تح: المختار بن الطاهر التليلي, ج1, دار الغرب الإسلامي, بيروت, 1987.
17) عبد الرحمن ابن عبد الحكم, فتوح إفريقيا والأندلس, تح: عبد الله أنيس الطباع, مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر, بيروت, 1964.
18) محمد ابن عذارى المراكشي, البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب, تح: احسان عباس, ج4, ط3, دار الثقافة, بيروت, 1983.
19) ابراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون المالكي, الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب, تح: مأمون بن محي الدين الجنان, ج2, دار الكتب العلمية, لبنان, 1996.
20) محمد بن أبي القاسم ابن كردبوس, الاكتفاء في أخبار الخلفاء, تح: صلاح بن عبد الله الغامدي, ج1, ط1, مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر, المدينة المنورة, 1429.
21) أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي, البداية والنهاية, تح: عبد الله بن المحسن التركي, ج16, ط1, دار هجر, مصر, 1998.
22) أبي زكريا يحي, سير الأئمة وأخبارهم, تح: اسماعيل العربي, ط2, دار الغرب الاسلامي, بيروت, 1982.
23) البرزلي أبو قاسم بن أحمد البلوي التونسي, جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا بالمفتين والحكام , تح: محمد الحبيب الهيلة, ج1, دار الغرب الإسلامي, بيروت, 2002.
24) البكري أبو عبيد الله, المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب, دار الكتاب الإسلامي, القاهرة, 1999.
25) _____ , المسالك والممالك, تح: جمال طلبة, ج2, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت, 2003.
26) بن أبي زرع الفاسي, الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس, ج1, ط1, دار المنصورة للطباعة والوراقة, الرباط, 1972م.
27) البيذق أبو بكر علي الصنهاجي, أخبار المهدي بن تومرت, دار المنصور للوراقة والطباعة, الرباط, 1971.
28) _____, المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب, تح: عبد الوهاب بن منصور, دار المنصور, الرباط,1971.

29) التادلي ابن الزيات, التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي, تح: أحمد توفيق, ط2, مطبعة النجاح الجديدة, الرباط, 1997.
30) التجاني محمد عبد الله بن محمد, رحلة التجاني, تقديم: حسن حسني عبد الوهاب, دار العربية للكتاب, ليبيا, تونس, 1981.
31) الجزيري أبي القاسم علي بن يحي بن القاسم, المقصد المحمود في تلخيص العقود , تح: فايز بن مرزوق بن يركي السلمي, المجلد1, كلية الشريعة والدراسات الإسلامية, جامعة أم القرى, 1461_1462ه.
32) الحافظ الذهبي, العبر في خبر من غبر, تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول, ج3, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت, 1985.
33) الحميري أبو عبد الله محمد, الروض المعطار في خبر الأقطار, تح: احسان عباس, ط2, مطابع دار السراج, بيروت.
34) الذهبي شمس الدين, سير أعلام النبلاء, تح: شعيب الأرلؤوط, ج19, ط1, مؤسسة الرسالة, لبنان, 1984.
35) الشافعي أبي الحسن على, منهج الصواب في فتح استكتاب أهل الكتاب, تح: سيد كسوري, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت, 2002.
36) صحيح البخاري, رقمه 2658.
37) الغزالي أبو حامد, سر العالمين وكشف ما في الدارين, تح: محمد مصطفى أبو العلا, مكتبة الجندي, القاهرة, 1968.
38) الفيروز أبادي مجد الدين , القاموس المحيط, ج1, دار الحديث, القاهرة, 2008.
39) لسان الدين بن الخطيب, الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية, ط1, مطبعة التقدم الإسلامية, تونس.
40) ليفي بروفينسال, ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة والمحتسب, تح: ليفي بروفنسال, مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية, القاهرة, 1955.
41) مجهول, الإستبصار في عجائب الأمصار, تح: سعد زغلول عبد الحميد, بغداد, 1986.
42) ابن سماك العاملي, الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية, تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة, ط1, دار الرشاد الحديثة, الدار البيضاء, 1979.
43) المراكشي محي الدين عبد الواحد, المعجب في تلخيص أخبار المغرب, مطبعة بريل, لندن.
44) _____, وثائق المرابطين والموحدين, تح: حسين مؤنس, ط1, مكتبة الثقافة الدينية, 1997.
45)
46) مرتضى الزبيدي, تاج العروس من جواهر القاموس, تح: مصطفى حجازي, ج25, مطبعة حكومة الكويت, 1989.

47) الناصري أبو العباس, الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية والموحدية, تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري, ج2, دار الكتاب, دار البيضاء, 1997.

48) النويري أحمد, تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط, تح: مصطفى أبو ضيف, دار النشر المغربية, الدار البيضاء.

49) _____, نهاية الأرب في فنون الأدب, تح: عبد المجيد ترحيني, ج24, دار الكتب العلمية, بيروت.

50) الوزان أبو الحسن علي, وصف إفريقيا, تر: محمد حجي ومحمد الأخضر,ج1, ط2, دار الغرب الإسلامي, بيروت, 1993.

51) الوليد الطرطوشي, سراج الملوك, المكتبة الشاملة, مصر, 1872.

52) الونشريسي أحمد بن يحي, المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب, تح: محمد حجي, ج6, دار الغرب الإسلامي, بيروت, 1981.

53) ليون الإفريقي, وصف إفريقيا, ج1, تر: محمد حجي ومحمد الأخضر, ط2, دار الغرب الإسلامي, بيروت, 1983.

54) ياقوت الحموي معجم البلدان, ج4, دار صادر, بيروت.

ثانيا: المراجع:

1) ابتسام مرعى خلف الله, العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي, 524_636ه/1130_1529م, جامعة الإسكندرية, 1985.

2) إبراهيم القادري بوتشيش, المغرب والأندلس في عصر المرابطين : المجتمع _الذهنيات_الأولياء,ط1, دار الطليعة للطباعة والنشر ,بيروت ,1993.

3) _____, تاريخ الغرب الإسلامي: قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة, دار الطليعة للطباعة والنشر, بيروت, 1994.

4) _____, مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين, دار الطليعة للطباعة والنشر, بيروت.

5) ابراهيم حركات, المعرب عبر التاريخ, ج1, دار الرشاد الحديثة, الدار البيضاء, 2000.

6) ابن وردان, تاريخ مملكة الأغالبة, تح: محمد زينهم ومحمد عزب, ط1, مكتبة مد بولي, 1988, القاهرة.

7) أبو ضيف أحمد مصطفى, أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين (524_876ه/1130_1472م), ط1, مطبعة دار النشر المغربية, 1982.

8) بديعة لخرازي, تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى, ط1, مطبعة المعارف الجديدة, الرباط, 2007.
9) جمال طه, مدينة فاس في عصر الموحدين(448ه/1056م إلى 668ه/1269م): دراسة سياسية وحضارية, دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر, الإسكندرية, 2001.
10) حسن علي حسن, الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين, ط1, مكتبة الخانجي, مصر, 1970.
11) حسين مؤنس, تاريخ المغرب وحضارته, ج2, ط1, العصر الحديث للنشر والتوزيع, بيروت, 1992.
12) _____, فتح العرب للمغرب, مكتبة الثقافة الدينية, القاهرة.
13) _____, موسوعة تاريخ الأندلس, ج2, ط1, مكتبة الثقافة الدينية, القاهرة.
14) حمدي عبد المنعم, التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين, دار المعرفة الجامعية, 1997, الإسكندرية.
15) الخربوطلي علي حسن, الإسلام وأهل الذمة, المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية, القاهرة, 1969.
16) رضوان البارودي, أضواء على المسيحية والمسيحيين في المغرب في العصر الإسلامي, دار الفكر العربي, القاهرة, 1990.
17) _____, دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس, مركز الإسكندرية للكتاب, الإسكندرية.
18) الزركلي خير الدين, قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين,ج8, ط1, بيروت, 1986.
19) سالم عبد العزيز , المغرب الكبير, ج2, دار النهضة العربية, بيروت, 1981.
20) السائح الحسن, الحضارة الإسلامية في المغرب, ط2, دار الثقافة للنشر والتوزيع, الدار البيضاء, 1986.
21) سعدون عباس نصر الله, دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين, ط1, دار النهضة العربية للطباعة والنشر, بيروت, 1985.
22) شارل أندري جوليان, تاريخ إفريقيا الشمالية, تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة, ج2, الدار التونسية للنشر, 1983.
23) صالح بن قربة, عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين, المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر, 1997.
24) الصلابي محمد علي, الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين,ط1, دار التوزيع والنشر الإسلامية, القاهرة, 2003.

25) طاهر بوناني, التصوف خلال القرنين 6 و 7 هجريين 12 و13 ملاديين: نشأته تياراته دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي, دار الهدى للطباعة والنشر, عين مليلة, 2004.
26) عبادة كحيلة, تاريخ النصارى في الأندلس, ط1, 1993.

27) عبد الحليم عويس, دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري, ط2, دار الصحوة للنشر والتوزيع, القاهرة, 1991.
28) عبد الرزاق بن عبد المجيد ألارو, مصادر النصرانية دراسة ونقدا, ج1, ط1, دار التوحيد للنشر,2007.
29) عبد الله العروي, مجمل تاريخ المغرب, ج2, ط3, المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء, 2000.
30) عبد الله عنان, دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس, القسم الأول, ط2, مكتبة الخانجي, القاهرة, 1990.
31) _____, عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس, قسم الثاني, ط1, مطبعة لجنة التأليف والترجمة, القاهرة, 1964.
32) _____, دولة الإسلام في الأندلس قسم الموحدين, ج5, مكتبة الخانجي, القاهرة, 1997.
33)
34) عبد المنعم حمد حسين, التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين, دار المعرفة الجامعية, 1997.
35) _____, مدينة سلا في العصر الإسلامي: دراسة في التاريخ السياسي والحضاري, مؤسسة شباب الجامعة, الإسكندرية, 1997.

36) عبد الواحد المراكشي, وثائق المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا, تح: حسين مؤنس, ط1, مكتبة الثقافة الدينية, القاهرة, 1997.
37) عرفان عبد الحميد فتاح, النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها, ط1, دار عمار للنشر والتوزيع, عمان, 2000.
38) عز الدين أحمد موسى, تنظيمات الموحدين ونظمهم في المغرب, ط1, دار الغرب الإسلامي, بيروت, 1999.
39) _____, دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي, ط1, دار الشروق, بيروت, 1983.

40) علي محمد الصلابي, دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي, ط1, دار التوزيع والنشر الاسلامية, القاهرة, 2003.
41) _____, فقه التمكين عند دولة المرابطين, ط1, مؤسسة اقرأ, القاهرة, 2006.
42) فرحات الدشراوي, الخلافة الفاطمية بالمغرب, تعريب: حمادي الساحيلي, ط1, دار الغرب الإسلامي, بيروت, 1994.

43) كمال أبو مصطفى, جوانب من حضارة المغرب والأندلس من خلال نوازل الونشريسي, مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية, 1997.

44) مارمول كربخال, إفريقيا, ج2, تر: عمر حجي وآخرون, دار المعرفة للنشر والتوزيع, الرباط, 1989.
45) المجيلدي أحمد سعيد, التسيير في أحكام التسعير, تح: موسى لقبال: ط1, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر.
46) محمد الطالبي , الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184_296ه/800_909م, تعريب: المنجي الصيادي, ط1, دار الغرب الإسلامي, بيروت, 1985.
47) محمد المغراوي, الموحدون وأزمات المجتمع, ط1, مكتبة جذو للنشر, الرباط, 2006.
48) محمود حسن أحمد, قيام دولة المرابطين (صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى), دار الفكر العربي, القاهرة.
49) المضيان ماجد بن صالح, دور أهل الذمة في إقصاء الشريعة الإسلامية, تقديم: عبد الرحمان بن صالح المحمود, دار الهدي النبوي, مصر, 2007.
50) ممدوح حسين علي حسين, الحروب الصليبية في شمال إفريقيا وأثرها الحضاري سنة 668_796ه/1670_1390م, ط1, دار عمان, الأردن, 1998.
51) موسى لقبال, الحسبة المذهبية في بلاد المغرب, ط1, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر.
52) _____, المغرب الإسلامي, ط2, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر, 1951.
53) ميراندا أمبروسيوهويثي, التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية, تعريب: عبد الواحد أكمير, ط1, دار النجاح الجديدة, الدار البيضاء, 2004.

54) هشام أبو رميلة, علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس, ط1, دار الفرقان, عمان, 1984.
55) هوبكز, النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى, تعريب: أمين توفيق الطيبي, الدار العربية للكتاب, ليبيا_تونس, 1980.
56) يوسف بردي بن عبد الله بن تغري, النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة, ج5, وزارة الثقافة والإرشاد القومي, دار الكتب, مصر, 1963.

المراجع باللغة الأجنبية:

1) De mas-latrie, de, Relations et commerce de L'Afrique Septentrionale ou Maghreb avec les nations chrétiennes au Moyen Age. Ed.Librairie FIRMIN-DIDOT et C.,Paris 1886 ,op.cit.

2) Jean pierre Mlenat ,<< sur le rôle des almohdes dans la fin du christianisme local ou Maghreb et en Al_Andalus >> Revue Al QANTAR, T,1053 , 1997.

المجلات والدوريات:

1) إيمان عبد الرحمان حسن العثمان, التعايش السلمي للمسلمين مع أهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر علي بن يوسف (500_537ه/1106_1142م), مجلة كلية العلوم الإنسانية, المجلد8, العدد2, 2014.

2) بومدين هشام نمر, المرتزقة النصارى في بلاد المغرب الإسلامي مابين القرنين الخامس والسابع هجريين, مجلة العصور الجديدة, المجلد8, العدد1, ماي 2017_2018.

3) خوسي اليماني, الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة, تر: أحمد مدينة, مجلة دعوة الحق, وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية, العدد 187, 2013.

4) سالمة محمود محمد عبد القادر, المرابطون والموحدون: دراسة في عناصر الوحدة والتنوع الإداري والاقتصادي, مجلة آداب الرافدين, العدد72, كلية الأدب, جامعة الموصل, العراق, 2018م.

5) شريف عبد القادر, الأحكام المتعلقة بالنصارى في بلاد المغرب الإسلامي وأحوالهم الإجتماعية[21_676ه/642_1269م], مجلة الإنسان والمجال, العدد2, ديسمبر 2022.

6) شيخ عدة, الدعوة الدينية المرابطية: أسسها وخصوصياتها وأثرها في قيام الدولة 447ه_542ه/1055م_1148م, مجلة الإحياء ,العدد 27_2020/11.

7) صديقي عبد الجبار, الطائفة المسيحية في المغرب الإسلامي تحت حكم المرابطين: تعايش أم اضطهاد, مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية, العدد2, 2021.

8) عبد العزيز شاكي, اختلال أحوال المرابطين في المغرب والأندلس, مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية, المجلد11, العدد1, 2021.

9) عبد العزيز غودو, الارتزاق, دورية كان التاريخية, العدد7, 2006.

10) عبد الله أبو بكر النيجيري, مفهوم الخراج في الفقه الإسلامي [دراسة تاريخية فقهية], المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي, العدد23, 5/3/2021.

11) عجيلة محمد وبن نوري مصطفى, الجباية المحلية بين المركزية واللامركزية ودورها في تمويل التنمية الإقتصادية المحلية, مجلة دراسات جبائية, العدد1, ديسمبر 2012.

12) علي قنبر إلياس, بنو ميمون قادة الأسطول المرابطي والموحدي (508_599ه/1115_1202م), مجلة أبحاث التربية الأساسية, العدد2,ج1, كلية التربية, جامعة الموصل, 2010.

13) عمر راكة, العلاقات الدبلوماسية للدولة الموحدية بالممالك الإسبانية والبابوية, دورية كان التاريخية, العدد14, كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية, جامعة أبي بكر بالقايد, تلمسان, الجزائر, ديسمبر, 2011م.
14) لبنى الورطيطي, أهل الذمة بين التنظير والواقع خلال العصر الموحدي, مجلة التراث, المجلد الأول, العدد1.
15) مختار أحمد عفيفي, دور نصارى المغرب الأقصى في الحياة السياسية والعسكرية في عصر الموحدين (541_668ه/1146_1269م), مجلة الدراسات الإفريقية, العدد3, 2022.

المذكرات:

1) بن عياش الطاهر, الفقهاء المالكية و السلطة الموحدية في المغرب الاسلامي, 510_668ه/1116_1269م, مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط, جامعة الجزائر 2, أبو القاسم سعد الله, كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية, قسم التاريخ , إشراف: الحاج عيفة, 2014_2015م.
2) حفيظ كعوان, أثر فقهاء المالكية الإجتماعي والثقافي بإفريقية (2_5ه/8_11م), مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي, كلية الأداب والعلوم الإنسانية, قسم التاريخ وعلم الأثار, جامعة العقيد الحاج لخظر, باتنة, 2008_2009.

3) حماد فضل الله الصالحين صالح, تاريخ المغرب الأقصى الإقتصادي والاجتماعي في عصر المرابطين 448_541ه/1056_1146م, مذكرة لنيل شهادة الماجستير بكلية الأدب, قسم التاريخ, إشراف: علي حسين الشطشاط جامعة بنغازي, 2012.
4) شرقي نوارة, الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين, مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي, كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية, قسم التاريخ, جامعة الجزائر, 2007_2008.
5) شريف عبد القادر, النصارى ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية دولة الموحدين 21_641ه/668_1269م, مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص التاريخ الوسيط, جامعة الجزائر2, كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية, قسم التاريخ, إشراف: لطيفة بن عميرة, 2011_2012م.
6) قتيبة علي إبراهيم سمور, العلاقات الحربية بين الموحدين والممالك الإسبانية في شمال الأندلس (540_620ه/1145_1235م), إشراف: محمد عبده حتاملة, مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي, كلية الدراسات العليا, الجامعة الأردنية, تموز, 1996.
7) محي الدين صفي الدين, المستعربون ودورهم في تاريخ الأندلس 138_483ه/755_1090م, مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارة الأندلس, قسم التاريخ وعلم الأثار, كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية, جامعة وهران السانية, 2007_2008.

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم 2
الشكر والعرفان 3
الإهداء 4
قائمة المختصرات 6
مقدمة 7
الفصل التمهيدي: نبذة عن الدولتين 13
1_الدولة المرابطية 14
الدعوة و التأسيس 14
القيام والفتح 15
الازدهار والقوة 17
مرحلة السقوط 18
2_الدولة الموحدية 19
الدعوة و التأسيس 19
التطور و الازدهار 21
السقوط 22
الفصل الأول: نصارى المغرب الإسلامي قبيل القرن 5ه/11م. 24
المبحث الأول: تعريف أهل الذمة و النصارى 25
1 تعريف أهل الذمة 25
2- النصارى 26
المبحث الثاني: النصارى قبيل ظهور المرابطين والموحدين. 27
مرحلة الفتح 27
مرحلة قيام الدويلات المستقلة 29
المبحث الثالث: الأحكام الفقهية المتعلقة بالنصارى 31
الفصل الثاني: نصارى المغرب الإسلامي في عهد المرابطين 37
أشكال الوجود النصراني في المغرب 38

1_ أسرى الحرب والعبيد النصارى..... 39
2_ المرتزقة والجنود النصرانيين في الجيش المرابطي 40
3_ المهجرون..... 41
أماكن استقرارهم..... 41
المبحث الأول: سياسيا_ عسكريا..... 42
سياسيا..... 42
عسكريا 43
المبحث الثاني:اقتصاديا 45
المبحث الثالث: دينيا اجتماعيا 46
دينيا 46
اجتماعيا 48
الفصل الثالث: النصارى في العهد الموحدي 53
المبحث الأول: سياسيا عسكريا..... 55
عسكريا 55
سياسيا..... 58
المبحث الثاني: اقتصاديا..... 59
المبحث الثالث: دينيا_ اجتماعيا 62
دينيا 62
اجتماعيا 64
خاتمة 68
الملاحق 71
قائمة البيبليوغرافيا 79

تواجد النصارى في المغرب الإسلامي:

تواجد النصارى الذين يعتبرون من أهل الذمة في المغرب الإسلامي بعد أن قبلوا العيش تحت راية الإسلام مقابل دفع الجزية والحفاظ على حقوقهم إلى حين ظهور الدويلات المستقلة حيث تكاثف عددهم وكانت قوة ظهورهم خلال عصري المرابطين والموحدين.

فالعصر المرابطي شهد توافد عدد من النصارى والعيش داخل هذه الدولة والمشاركة في عديد المجالات لاسيما العسكرية منها, مما ميز هذا العصر عصر انفتاح على الطائفة النصرانية ما جعل تزايد عددهم بشكل ملحوظ داخل السلطة والمجتمع مقارنة بالعصور السابقة حيث اتسمت الحياة الاجتماعية لنصارى المغرب بالاستقرار إلى حد تخصيص أحياء لهم من طرف المرابطين, رغم أن معظم الدراسات الغربية اتهمت هذا العصر بأنه عصر اضطهاد وتهميش لهم مستندين في ذلك على عدة أحداث تترأسها:" حادثة تهجير النصارى من غرناطة" إضافة إلى "حادثة منعهم من إقامة كنائسهم في حواضر المغرب" لكن لهذه الأحداث تداعياتها, فطبيعة تلك الحقبة والخطر الذي أحدثه ألفونسو ومملكة قشتالة على الوجود الإسلامي في الأندلس لعبت دورا في بلورة موقف المرابطين من ممارسة الحرية الدينية للنصارى.

بينما في العهد الموحدي ورغم وجود بعض التداعيات الراجية إلى توتر العلاقات بين النصارى على تصريحات الخلفاء الموحدين في هذه المرحلة التي تميزت بنوع من الصرامة. والحقيقة لحذر الموحدين من النصارى دوافع عديدة منها: موقفهم مع المرابطين أواخر عهدهم والتجسس على المسلمين لحساب النصارى, ومع كل ذلك إلا أن الخلفاء الموحدين انتهجوا سياسة التسامح معهم داخل المجال الموحدي مما أدى إلى ازدياد نفوذهم في الآونة الأخيرة من هذا العصر والاعتماد عليهم عسكريا وماديا حيث أصبح دورهم في الجيش أساسيا.

The presence of Christians in the Islamic Maghreb:

The presence of Christians who are considered dhimmis in the Islamic Maghreb after they accepted to live under the banner of Islam in exchange for paying tribute and preserving their rights until the emergence of independent states, where their number intensified and the strength of their appearance was during the Almoravid and Almohad eras.

The Almoravid era witnessed the influx of a number of Christians and living within this state and participating in many fields, especially military ones, which characterized this era an era of openness to the Christian community, which made their number increase significantly within the authority and society compared to previous eras, where the social life of the Christians of Morocco was characterized by stability to the extent of allocating neighborhoods he prevented them from setting up their churches in the cities of Morocco," but these events have repercussions, The nature of that era and the danger that Alfonso and the kingdom of

Castile caused to the Muslim presence in Andalusia played a role in crystallizing the position of the Almoravids on the exercise of religious freedom for Christians.

While in the Almohad era, although there were some repercussions due to the tension of relations between Christians over the statements of the Almohad caliphs at this stage, which was characterized by a kind of strictness. The truth is that the Almohads warned about the Christians for several reasons, including: their position with the Almoravids late in their reign and spying on Muslims for the Christians, however, the Almohad caliphs adopted a policy of tolerance with them within the Almohad sphere, which led to their increasing influence in the late period of this era and dependence on them militarily and materially, as their role in the army became essential.